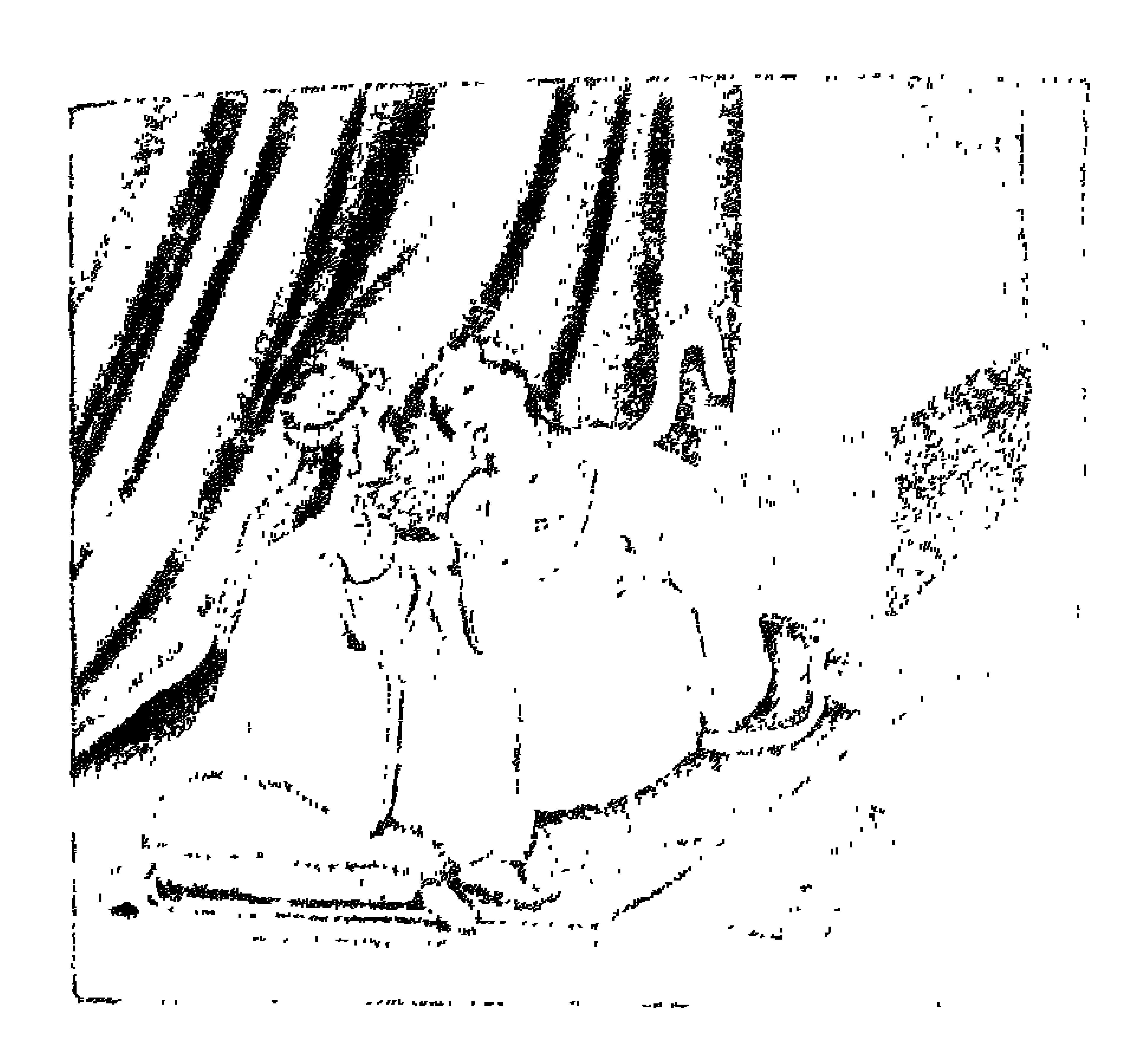
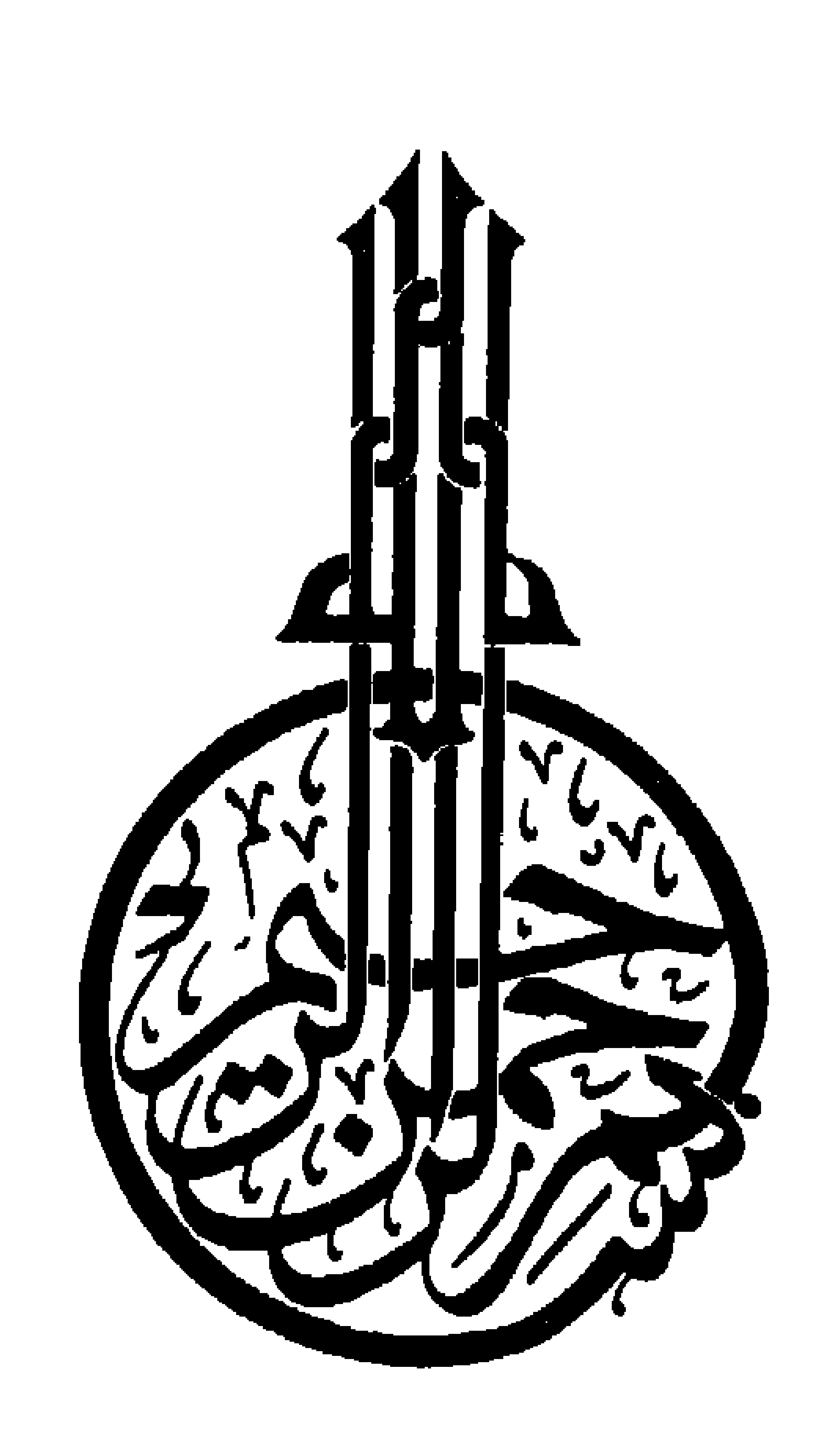


رحيل أربي



ترجمه وقدّم له

د. محمد خير البقاعي


بسم الله الرحمن الرحيم

رحيل أريي

المنمنمات في إسبانيا ـ الإسلامية

نظرات في مخطوطة عربية مزخرفة في مكتبة
دير الإسكوريال مع ٤٧ لوحة، ثمانٍ منها ملونة

ترجمه وقدّم له

د. محمد خير البقاعي

دار الفيصل الثقافية
١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م
دار الفيصل الثقافية
ص . ب (٣) الرياض ١١٤١١

ⓒ دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
أري، رحيل.
المنمنمات في إسبانيا الإسلامية/ ترجمة محمد خير البقاعي.- الرياض
١٣١ ص؛ ١٤×٢١
ردمك: ٦ - ٢٠ - ٦٦٧ - ٩٩٦٠
١ - المنمنمات - ابن ظفر الصقلي - محمد بن عبدالله، ت ٥٦٥هـ
أ - البقاعي، محمد خير (مترجم).
ب - العنوان
ديوي ٧٧٧ . ٧٥١ ٢٢/٢٩٤٦

رقم الإيداع: ٢٢/٢٩٤٦
ردمك: ٦ - ٢٠ - ٦٦٧ - ٩٩٦٠

هذا الكتاب ترجمة كاملة لنص عنوانه الأصلي بالفرنسية:

MINIATURES
HISPANO- MUSULMANES
RECHERCHES SUR UN MANUSCRIT ARABE
ILLUSTRE
DE L'ESCURIAL

المؤلفة

RACHEL ARIE

الناشر

LEIDEN
E.J.BRILL
١٩٦٩م

المحتويات

مقدمة المترجم

جاء في كتاب «تاريخ صقلية الإسلامية» لمؤلفه الدكتور عزيز أحمد، والذي ترجمه إلى العربية الدكتور أمين الطيبي (ط. دار الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٨٧-٨٨) «وأشهر علماء الدين والأخلاق في العهد النورماني ابن ظفر (أبو عبد الله ابن أبي محمد) المنعوت بحجة الدين وبرهان الإسلام، وهو إما من أصل صقلي، وإما من مكة المكرمة، وفد زائراً على صقلية. ألف في النحو وفقه اللغة، وكان أعلم باللغة من النحو. وأشهر مؤلفاته (سلوان المطاع في عدوان الأتباع)[١]، صنفه لبعض القادة في صقلية، وقد ترجم الكتاب إلى اللغات الإنجليزية والإيطالية والتركية[٢].

والكتاب من النوع المعروف بمرايا الأمراء Mirrors of Prince، ويقع في خمسة أجزاء، وأسلوبه شبيه بأسلوب كليلة ودمنة. وينسب إلى ابن ظفر ما مجموعه اثنان وثلاثون كتاباً، وصلنا عشرة منها بما في ذلك تفسير للقرآن الكريم. وقد جال ابن ظفر في أقطار المغرب واستقر فيه المطاف في بلاد الشام، وتوفي فيها سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م» [٣]. وتملك مكتبة دير الإسكوريال نسخة مخطوطة من كتاب سلوان

المطاع رقمها ٥٢٨ زُيِّنت بـ٤٧ لوحة يطلق عليها اسم المنمنمات، وهي لوحات تعد نسيج وحدها في تاريخ الفن الإسلامي. وقد استرعت هذه المنمنمات اهتمام الباحثة الفرنسية رحيل أريي فدرستها في كتيب صغير. ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي عرضت لدراسة المنمنمات العربية الإسلامية التي زُيِّن بها كتاب سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي؛ وهي منمنمات تطرح إشكالية في تاريخ الفن العربي الإسلامي؛ لأنها فريدة لا نكاد نجد ما يشبهها في الشرق العربي.

يتألف الكتاب من مقدمة وفصلين وملحق يحتوي على المنمنمات المدروسة.

تتحدث المؤلفة في المقدمة (ص ٧) عن جلسات العمل الطويلة التي كانت تعقد في مكتبة دير الإسكوريال خلال شتاء عام ١٩٦٤م، وتقول إن تلك الجلسات دفعتها إلى تفحص مخطوطة محفوظة في المكتبة المذكورة برقم ٥٢٨، وعنوانهاكتاب **السلوانات في مسامرات الخلفاء والسادات**، وتذكر أن دير نبورغ[٤] J. Hartwig Derenbourg، صنف هذا

الكتاب ضمن كتب الحكايات والحكم في القرن الثاني عشر الميلادي، وتقول المؤلفة إن الكتاب المذكور ينسب إلى ابن ظفر الصقلّي، وإن عنوان الكتاب المشهور هو: **سلوان المطاع في عدوان الأتباع**.

يمكن لمكتبة الإسكوريال، حسب المؤلفة، أن تفخر بهذه المخطوطة العربية التي تعود إلى القرون الوسطى (الأوربية)؛ لأنها (المخطوطة) مزينة بسبع وأربعين منمنمة تعد نماذج نادرة للنصوص التي وصلتنا من الغرب الإسلامي.

الفصل الأول (١-٧) تورد المؤلفة في هذا الفصل المعنون، مؤلف الكتاب: حياته ومؤلفاته. المعلومات القليلة المتوافرة لديها عن المؤلف[٥] فتقول: إن اسمه الكامل هو: **أبو عبد الله محمد بن محمد ظفر الملقب بحجة الدين**، ولد في صقلية، ونشأ في مكة المكرمة مما يفسر النسبة التي تتردد في ترجمته «المكي». وتذكر أيضاً أن العماد الأصفهاني (١١٢٥ - ١٢٠١م) قابل ابن ظفر في الشام، وترجم له ابن خلكان (١٢١١ - ١٢٨٢م) في وفيات الأعيان، وترجم له أيضاً في

القرنين الرابع والخامس عشر الميلادي المقريزي والسيوطي المصريان[٦] . وتستنتج المؤلفة من ترجماته أنه كان من علماء الغرب الإسلامي المشهورين، وأنه قضى شطراً من حياته في إفريقية الشمالية مع غيره من الصقليين المسلمين الذين فروا من نير المسيحية الذي كان يخيم حينئذٍ على جزيرتهم (صقلية)، ثم توجه بعد ذلك إلى مصر العبيدية (الفاطمية)، ثم إلى الشام ، إلى بلاط أشهر أمراء الشرق في ذلك العصر **محمود بن زنكي الملقب بنور الدين** الذي كان له قصب السبق في القتال ضد الصليبيين. وتستخلص المؤلفة من إشارة لابن ظفر نفسه في مقدمة أحد كتبه: خير البِشَر بخير البَشَر أن رحلته إلى الشرق تمت بعد عام ١١٤٦ م، وأنه لقي تشجيع أحد كبار العلماء في الشام، مثل: صفي الدين أحد علماء بلاط نور الدين. وقد عاد ابن ظفر إلى صقلية بعد موت ملك النورمانديين روجيه عام ١١٥٤ م. ثم تستعرض المؤلفة المعلومات التي ذكرها من ترجموا لابن ظفر حول خلقِه وخَلْقه (ص ٢). ولابن ظفر ما يقارب ثلاثين كتاباً كما ذكرنا أورد هو نفسه قائمة بها في عام ١١٥٩ م،

وعددها أصحاب الكتب التي ترجمت للصقليين مع تفاصيل قليلة. ووصلنا من كتبه سبعة فقط، منها عدد من النسخ في المكتبات الغربية والشرقية؛ ففي المتحف البريطاني، وفي مكتبة جوتة (ألمانيا) نجد مخطوطة كتاب أنباء نجباء الأبناء الذي طبع في القاهرة عام ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م. وتتحدث المؤلفة عن مضمون هذا الكتاب (ص٢). أما المكتبة الوطنية في باريس ودار الكتب المصرية فتحتويان على مخطوطة كتاب: خير البِشر في خير البَشر وتتحدث المؤلفة عن مضمون هذا الكتاب (ص٣). وتذكر أن ابن ظفر كان يقرأ بالعبرية والسريانية العهد القديم من الكتاب المقدس.

وفي المكتبة الوطنية في باريس مخطوطة لكتابه: **ينبوع الحياة في تفسير الذكر الحكيم**. ولكن ابن ظفر اشتهر بكتابه سلوان المطاع الذي يتوافر له عدد من المخطوطات ذكرها ميشيل أماري في مقدمته لترجمة الكتاب إلى الإيطالية، وطبعت الترجمة أول مرة في فلورنسة ثم في لندن منذ قرن[٧].

ثم ظهر كتاب ابن ظفر في طبعات مصرية وتونسية ولبنانية في نهاية القرن التاسع عشر[٨]، وطبعت منه طبعات فارسية

وتركية[٩]. واعتمد طبعات كتاب السلوان وترجماته على النسخة المعدلة من الكتاب التي كتبت في عام ١١٥٩ م، وعليها اعتمد الناسخ العربي المجهول الذي نسخ مخطوطة السلوان رقم ٥٢٨ في الإسكوريال[١٠].

ويتحدث ابن ظفر في هذا الكتاب عن قواعد السلوك التي ينبغي في رأيه أن يسير عليها الحكام أمام صروف الأقدار، ويصنفها في خمسة أقسام حللها أماري تحليلاً عميقاً. وتتحدث المؤلفة في (ص ٤ ـ ٨) عن هذه الأقسام وتحللها، وتذكر في (ص ٧) أن ابن ظفر وهو يكتب كتابه المملوء بالحكايات الحقيقية أو الخيالية كان يستوحي كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع.

ويعد الفصل الثاني الذي تقوم المؤلفة فيه بدراسة هذه المنمنمات من أهم الدراسات التي تناولتها. إنها دراسة مقارنة، توثيقية، عرضت فيها المؤلفة للآراء المختلفة التي أبداها الباحثون حول هذا النوع من المنمنمات التي مثَّل فيها الفنان المجهول حكايات وردت في كتاب السلوان، وهي حكايات حقيقية أو وهمية، الغاية الأساسية منها هي

الوعظ. وإن ظهور الصور الآدمية في لوحات إسلامية هو مما يسترعي الانتباه، خصوصاً أنه تم في حالة كتاب السلوان في وقت مبكر تاريخياً، وربما كان ذلك بتأثير التمازج الحضاري الذي شهدته الأندلس. وخلصت المؤلفة بعد مقارنات، ومقاربات، جاءت فيها بأشباه تلك المنمنمات ونظائرها، إلى أن تلك المنمنمات هي من صنع أحد الموريسكيين، ممن غادروا إسبانيا إلى المغرب العربي بعد سقوط غرناطة، وتتجلى فيها ثقافته العربية الإسلامية الممتزجة بالثقافة الإسبانية، فهو يستمد الحكايات من التراث العربي والفارسي والإسباني وغيرها. تقول المؤلفة: «إذاً، نميل إلى الاعتقاد أن هذا التأثير المزدوج المغربي والإسباني، الذي يبدو بوضوح في معرض الأزياء الرائع الذي تقدمه لنا مخطوطة دير الإسكوريال من كتاب السلوان، هو نتيجة ذلك التوليف الغريب الخاص بالموريسكيين في إسبانيا، و الغرناطيون على وجه الخصوص، والذي سلطت عليه الأضواء بعض الدراسات الحديثة[11]. وإن كنا لا نستطيع كشف الغموض الذي يحيط بالفنان الذي نفذ منمنمات

كتاب السلوان في ضوء معارفنا الحالية، فإننا نضع الفرضية الآتية: إن ذلك الفنان هو أحد الموريسكيين الذين تمردوا على محاولات التنصير التي فرضها العرش الإسباني، ويبدو أنه لجأ إلى المغرب الأقصى في النصف الأول من القرن السادس عشر، فهو إذاً من أولئك الرجال الذين عبروا المحيط، والذين يبرز لنا أرشيف الحمراء حياتهم الاجتماعية في أدق تفاصيلها. لقد احتفظ من مسقط رأسه، الذي كان مرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً، فن الرسم، الأسلوب الإسباني الذي نستشفه في إنجاز كل واحدة من منمنماته. لقد قرن بين الواقعية العملية والدقيقة في تمثيل البشر والحيوانات التي تدل على أن وراءها فناناً مسلماً بارعاً، متمكناً في مهنته.

إن مخطوطة دير الإسكوريال من كتاب السلوان وثيقة ذات أهمية كبيرة لدراسة العادات والثياب لدى المسلمين في إسبانيا، ولدى المغاربة في القرن السادس عشر، وينبغي أن يكون لها مكان مميز في الفن الإسباني المسلم؛ إنها حلقة في سلسلة المخطوطات المزينة في الغرب الإسلامي، الذي لا نملك حوله حتى اليوم إلا إشارات بسيطة(١٢). إنها تستحق

بعض الاهتمام بسبب الشهادة التي تؤديها في المجال الذي ذكرناه.

إن هذا الكتاب يقدم معلومات لا نجدها في مكان آخر عن تاريخ الفن العربي في الأندلس. ويتسم بطرح قضايا ذلك الفن ضمن الشروط الاجتماعية والتقاليد التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي الذي مازال يتكشف عنه في كل يوم كثير مما يمتع ويفيد.

د. محمد خير البقاعي

الرياض ٧/ ١١/ ١٤٢٢هـ

٢٢/ ١/ ٢٠٠٢م

المقدمة

لقد دفعت الجلسات الطويلة التي كانت تعقد في دير القديس لوران الإسكوريال Saint Laurent de l'Escurial كاتبة هذه السطور إلى تفحص المخطوطة العربية رقم٥٢٨ ، والتي عنوانها كتاب السلوانات في مسامرات الخلفاء والسادات.

وقد ترجم المستشرق هارتفيغ ديرنبورغ J.Hartwig-Derenbourg العنوان في **فهرس للمخطوطات العربية في الإسكوريال**(١٣) كالآتي :

Les Consolations dan i'entretien des califes et des chefs ،

وطابق ديرنبورغ بين هذا النص وبين مجموعة الحكايات والحكم التي جمعها الأديب العربي ابن ظفر الصقلي في القرن الثاني عشر الميلادي، والتي اشتهرت بالعنوان الآتي : **سلوان المطاع في عدوان الأتباع**.

ويمكن لمكتبة الإسكوريال، أن تفخر بهذا الكتاب القروسطي؛ لأن المخطوطة رقم ٥٢٨ مزينة بـ٤٧ منمنمة رائعة ملونة، هي من النماذج النادرة بين النصوص العربية

والغربية التي وصلت إلينا .

نود أن نعرب عن خالص اعترافنا بالجميل، واحترامنا للأب غريغوري دو أندريس Gregorio de Andrés مدير مكتبة الإسكوريال الذي تفضل بالسماح لنا بالانكباب على هذا المخطوط الثمين، وبتقديم نتائج بحثنا للمستشرقين. ونشكر أيضاً للبروفيسور شارل بلا Charles Pellat ، الأستاذ في السوربون نصيحته بإنجاز هذا الكتيب .

إننا ندين باللوحات التي تزين هذه الدراسة القصيرة ، لجوزي دو برادو هيرنز José de prado Herranz، مصور الإسكوريال .

المؤلفة

باريس، مارس « آذار» ١٩٦٨م

الفصل الأول

المؤلف، حياته ومؤلفاته

ليس لدينا لمؤلف السلوان، إلا ترجمة مقتضبة[١٤]. واسمه الكامل هو: أبو عبد الله محمد بن أبي محمد ظفر، ولقبه حجة الدين. ولد في صقلية، ونشأ في مكة المكرمة مما يعلل نسبة المكي التي تلحق باسمه في بعض الأحيان. إن الترجمة التي خصه بها الأديب عماد الدين الأصفهاني (١١٢٥ ـ ١٢٠١م)، الذي لقيه في سورية، و الأخرىٰ التي خصه بها قاضي دمشق ابن خلكان (١٢١١ ـ ١٢٨٢م)، الكاتب المشهور صاحب كتاب **وفيات الأعيان**. كما ترجم له المؤرخان المصريان المعروفان: المقريزي، والسيوطي، صاحب المؤلفات المتنوعة. كل هذه التراجم، تؤكد أصول ابن ظفر المغربية[١٥].

ويبدو أنه قضىٰ فترة من حياته في إفريقية الشمالية، برفقة مسلمين آخرين من صقلية، هرباً من ظلم المسيحيين، الذي كان مخيماً علىٰ جزيرتهم حينئذٍ؛ ثم توجه بعد ذلك إلىٰ مصر الفاطمية، ثم إلىٰ سورية، ليحل في بلاط أشهر الأمراء المسلمين في الشرق في ذلك العصر، محمد بن زنكي الملقب بنور الدين، الذي كانت له مواقف مشهورة مع الصليبيين[١٦].

ونعلم من إشارة لابن ظفر نفسه في مقدمة كتابه **خير البشر**

بخير البَشَر أن رحلته إلى المشرق تمت بعد عام ١١٤٦م ، وأن ابن ظفر لقي الرعاية في حياته الأدبية من أحد الأدباء السوريين ، صلي الدين ، ولا شك في أنه أحد المسؤولين الكبار في بلاط نور الدين . وعاد ابن ظفر إلى صقلية بعد موت ملك النورمانديين روجيه Roger عام ١١٥٤م ، ولقي رعاية أبي عبد الله محمد بن القاسم ، سليل أسرة إسلامية كريمة ، إنها أسرة الأدارسة ، وهو بذلك سليل علي بن أبي طالب ، صهر الرسول ﷺ . أهدى ابن ظفر إلى هذا الأمير المسلم ، من أسياد صقلية ، ثلاثة من كتبه ، وكذلك النسخة الثانية من كتاب سلوان المطاع عام ١١٥٩م[١٧] ، اعترافاً منه بالجميل ، الذي أداه له هذا المسلم النبيل في أيام المحنة . ولكن هذا الامتياز ، لم يدم بلا شك طويلاً ؛ لأننا نرى ابن ظفر مضطراً مرة أخرى إلى مغادرة صقلية ، وعبور مصر للالتجاء في حماة في سورية ، حيث يؤلف كتباً أخرى[١٨] . ومات فيها عام ١١٦٩م في رأي بعض من ترجموا له ، وفي عام ١١٧٢م حسب آخرين . وكانت السنوات الأخيرة من حياته المضطربة ، قاسية بسبب العوز ، والمصائب الموجعة .

لم يكن ابن ظفر حسب ما صوره لنا ابن خلكان حسن المظهر، بل نحيلاً وقصيراً. ويقدم لنا السيوطي لمحة سريعة عن مخبره؛ فيشيد بتواضعه، وتقواه، وميله إلى الزاهد. أما أمين سر نور الدين **عماد الدين الأصفهاني**، الذي لقي ابن ظفر في بلاط مولاه في حماة، فإنه يشيد بموهبته العقلية؛ فهو متضلع من العلوم الفلسفية، وشاعر مفلق. ويصنف العلماء الثلاثة ابن ظفر بين الكتّاب الذين برعوا في كتابة النثر على طريقة القدماء.

ألف ابن ظفر ما يقارب ثلاثين كتاباً، صنع هو نفسه ثبتاً بها عام ١١٥٩ م، ثم عدتها كتب التراجم القروسطية التي ترجمت لأدباء صقلية، مرفقة بمعلومات مفصلة. ووصل إلينا من تلك الكتب سبعة فقط، ومنها نسخ مخطوطة متعددة في المكتبات المختلفة في الشرق والغرب. إننا نجد في المخزون الغني من المخطوطات العربية في مكتبة المتحف البريطاني، وبرلين، وغوته كتاب **أنباء نجباء الأبناء**، الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤ م. كان ابن ظفر، وهو يؤلف هذا الكتاب، الذي يحوي تراجم للأبناء

المشهورين، يرمي إلى دفع الشاب المسلم في طريق التقوى، واستقامة الأخلاق، بفضل تقميش بعض الأخبار التي تتناول طفولة النبي ﷺ وحكايات حول أطفال نضجوا مبكرين، وأصبحوا من صحابة النبي محمد ﷺ مع أبنائهم. وتمتلك المكتبة الوطنية الفرنسية في باريس، ومكتبة القاهرة نسخاً من كتاب خير البشر بخير البشر؛ وهو كتاب يجمع عدداً من المواعظ عن الرسالة النبوية، مأخوذة من الإسرائيليات، والأناجيل، ومن الأخبار العربية قبل الإسلام. ويدل هذا الكتاب على ثقافة ابن ظفر الواسعة، فهو لم يكتف بالاطلاع على التاريخ المقدس للإسلام، ولكنه كان يقرأ بالعبرية والسريانية آيات العهد القديم. وندين لابن ظفر أيضاً بكتاب **ينبوع الحياة في تفسير الذكر الحكيم**، وهو تفسير بارع للقرآن الكريم، ومنه نسخة في المكتبة الوطنية في باريس، وما زال مخطوطاً.

ولكن كتاب سلوان المطاع وحده، هو الذي جلب الشهرة لابن ظفر، وجعله يُسْلك في سجل الخالدين. وهناك للكتاب عدد من المخطوطات تحدث عنها بالتفصيل المستشرق

الإيطالي الجليل ميشيل أماري Michele Amari في مقدمة ترجمته كتاب **السلوان**، وطبعت الترجمة بادئ ذي بدء في فلورنسة، ثم لندن منذ أكثر من قرن[١٩]. وظهرت طبعات للسلوان في القاهرة، وتونس، وبيروت في نهاية القرن التاسع عشر[٢٠].

وصنعت منه نسخ فارسية وتركية[٢١].

إن أغلب المخطوطات المطبوعة والمترجمة، هي النسخة الثانية من كتاب السلوان؛ وهي تعود إلى عام ١١٥٩ م، وعليها اعتمد الناسخ العربي المجهول، الذي نسخ نص ابن ظفر الموجود في مخطوطة[٢٢] الإسكوريال رقم ٥٢٨. إن ما يَعْرضه المؤلف في هذا الكتاب parénétique هو محاولة لوصف القواعد السلوكية التي ينبغي، في رأيه، أن يتبعها الملوك في وجه صروف الدهر؛ وهو يرتب هذه القواعد في خمسة أقسام، ترك لنا أماري تحليلاً أساسياً لها. إن التأملات الأخلاقية والسياسية لابن ظفر، وتعاليم القرآن الكريم، وحِكَم النبي ﷺ التي جمعها ابن ظفر، وأقوال الفلاسفة الفرس، وأشعار الشعراء العرب، كل ذلك موشىً

بقصص أحداث حقيقية أو متخيلة .

أولى قواعد السلوان التي ينصح بها ابن ظفر أقوياء هذا العالم، الذين يلقون معارضة أتباعهم، هي **الإيمان بالله تعالى** ؛ إذ ينبغي، حسب المؤلف، أن يمضي المرء في طريقه بحزم نحو الهدف، إذا كانت القضية التي يدافع عنها عادلة، وأن يترك الدفاع عنها إذا كانت غير ذلك . ويضرب مثلاً على ذلك فرعون الذي وضع في السجن أحد أقاربه ؛ ممن اتبعوا دين موسى، ورفضوا العودة عن ذلك، ثم عدل عن مشروعه المخفق نزولاً عند مبادرة ابنته . ويمتح ابن ظفر من التاريخ الأخباري للدولة الأموية، التي ازدهرت في عهدها الإمبراطورية الإسلامية في الشرق في القرن السابع الميلادي، فيروي الحوار الذي جرى بين الخليفة الوليد، الذي كان مهدداً بخروج عمه يزيد عليه، وبين رجل في سن الحكمة من عامة الشعب . لكي يقترح الرجل على الخليفة كيفية التصرف في مثل هذه الحال، يذكره بالاضطرابات التي حصلت في عهد أحد سابقيه، الخليفة الأموي **عبد الملك بن مروان**، الذي اعتمد على نصائح رجل عجوز لقيه في

الطريق، ليواجه ما كان يحوكه أحد مواطنيه؛ عمرو بن سعيد من مؤامرات. إن حكاية الثعلبين التي يضعها ابن ظفر على لسان العجوز، تندمج بعد ذلك في السياق، لتلقي الضوء على نفاق عمرو. ألا يشبه هذا المتمرد الثعلب الغدار «ظالم»؟ وهو، شأنه شأن الثعلب، سيقع في شر أعماله.

ثم يذكر ابن ظفر بعد ذلك، قصة الخليفة العباسي المأمون، ابن الخليفة العباسي المشهور هارون الرشيد. وقد كان المأمون مهدداً بأن يغتصب منه أخوه الأمين حقه في الخلافة، فيسأل المأمون أحد الشيوخ الفرس رأيه؛ فينصحه الشيخ بأن يوكل أمره إلى الله، وأن يدافع عن حقه. فإذا لم تكن له الغلبة؛ فإنه ينجو من اللوم. ويحكي الشيخ للمأمون الأحداث، التي وقعت لملك الفرس فيروز، الذي أسره خوشناواز، ملك الهفتاليت، وأقسم فيروز، ألا يهاجم هذا الأخير أبداً، وألا يتجاوز صخرة موضوعة على حدود أرضه. ولكن ما إن أُطلق سراحه، حتى حنث بوعده، واستمر في نواياه السيئة، على الرغم من التحذير الذي شاءت العدالة السماوية أن يحدث في بلاطه عندما انقض رجل مسكين،

بسلاحه المتواضع على فارس قوي، وثأر منه لمقتل أخيه. وانتهت الحرب، التي أثارها فيروز بالهزيمة ومقتل الملك الفارسي. وقد منَّ الله على المأمون الذي اتبع نصائح العجوز بأن مكنه من الوصول إلى الخلافة التي تولاها أجداده.

أما القاعدة السلوكية الثانية التي ينبغي، في رأي ابن ظفر، أن يتبعها الحكام، فهي: وجوب التحلي بالشجاعة، وقوة النفس، حتى تزول الشدة. يذكر ابن ظفر الحديث النبوي عن قوة النفس، ثم يروي حكاية سابور الثاني، الملك الفارسي، الذي أراد استكشاف الإمبراطورية البيزنطية، فذهب إلى القسطنطينية متنكراً، وافتضح أمره في مأدبة الإمبراطور، وأُسر، ثم أُطلق سراحه بفضل حنكة وزيره وحسن احتياله.

كان هذا الوزير المتنكر في ثياب راهب، يقص في كل مساء على رئيس الأساقفة، المكلف حراسة سابور حكايات محبوكة بطريقة تبعث الشجاعة في الأسير عندما يجد نفسه في حالة اليأس، وإعلامه بالجهود المبذولة لإطلاق سراحه.

ونجد بين هذه الحكايات حكاية عين أهله الذي يكنى به عن سابور. وعلى الرغم من أنه متزوج من سيدة النار (فارس)، فإنه يود معرفة سيدة الذهب (الإمبراطورة البيزنطية)، المزوجة من الذيب (الإمبراطور). ولما أسره هذا الأخير، وأوكل حراسته لامرأة عجوز (الوزير)، باعته للذئب الذي مثل به بوحشية، عقاباً له لأنه حاول الهرب. تلك المرأة البشعة، أبانت له خطأه، ومكنته من سبل الفرار. وبالطريقة نفسها، استطاع سابور ووزيره الهرب. وحكى الوزير لرئيس الأساقفة حكاية وعظية أخرى: تصادقت غزالة وظبي بينما كانا في الأسر، وفرقتهما محاولة فاشلة للهرب، وكانت الغزالة تظن أن الظبي قد خانها وتركها لمصيرها، ولما زال سوء التفاهم، عادا واصطلحا.

تولد قوة النفس الصبر؛ لذلك كان الصبر القاعدة السلوكية الثالثة، التي ينصح ابن ظفر الملوك الذين يصطدمون بتمرد أتباعهم، بأن يتحلوا به في الشدائد. ويضرب مثالاً على ذلك، الخليفة العباسي الهادي، الذي هاجمه أحد السجناء المهتاجين، وكان الهادي طلب أن يمثل

أمامه، ولما رأىٰ الهادي أن جلساءه تخلوا عنه، لجأ إلىٰ الحيلة، واستطاع أن يلقي بخصمه أرضاً، ثم قتله. ويضرب ابن ظفر مثالاً آخر علىٰ ما يفضي إليه الصبر؛ إنها حملة خسرو علىٰ إحدىٰ ممالك الهند. بعد أن أشاع رسول خسرو الكره في الهند، قام ملك البلد، استجابة لنصيحة أحد وزرائه من ذوي البصيرة، الذي روىٰ له حكاية اليربوعين والفأرين، باللجوء إلىٰ قلعة مستعصية، حيث انتظر أن يثير ما يرتكبه الغزاة الساسانيون من تجاوزات، تمرداً يحرر البلاد منهم. ولما سأل يزدجر بن بهرام أحد الفلاسفة عن صفات الحكومة الجيدة، أجابه الحكيم: أن الرفق بالأتباع، والعدل بينهم ينبغي أن يسودا البلاد، وأن اختيار الوزراء الجيدين، والسير نحو هدف سامٍ، سيراً دؤوباً، هي دلائل الحكومة الجيدة.

ويشير ابن ظفر إلىٰ مصدر رابع من مصادر التماسك في المحن؛ إنه الخضوع لإرادة الله. ويورد في مدخل هذا الفصل قول النبي ﷺ في هذا الشأن، ثم يفتق القول في فكرته مستعيناً بسلسلة من الحكايات الوعظية، التي تستخلص من

حكاية بهرام جور[٢٣]، ذلك الأمير الفارسي، الذي نشأ في بلاط الملك العربي في الحيرة. وعندما عاد إلى أبيه يزدجر، عومل معاملة قاسية، ووجد نفسه، وقد عُين مسؤول الولائم، ووضح له مربيه، المؤدب العربي **حلس**، أن الثقة التي مُنِحها بتوليه هذا العمل، تفرض عليه أن يقوم بها أحسن قيام، وبكل إخلاص. ويرتبط بهذه الحكاية الرئيسة حكايات، حكاها **حلس** البارع لتلميذه: مثل حكاية الدب والقرد، وحكاية الناسك الذي اغتنى بهبات المؤمنين. وفاجأه اللص في مصلاه، ولما تقاعس عن الخضوع أوقعه في شرك. وحكاية الأميرة الإغريقية، وحكاية الطحان الذي اعترف لزوجته بأنه حلم أن هناك كنزاً مخبأً في طاحونته؛ فما كان منها بعد أن باح لها بحلمه إلا أن خانته، فقتلها وانتحر. ويحكي بهلول الملك يزدجر للملك قصته هو نفسه، فيقول: إنه كان في صباه رجلاً غير متزن، يسافر عبر السند، وفيها قابل امرأة تزوجها، وظهر بعد ذلك أنها ساحرة؛ فعاقبته؛ لأنه غير مخلص، وجعلت منه عبداً أسود ثم حماراً، وهو لا يستطيع أن يعود إلى هيئته الأولى، إلا بشفاعة ابنة الملك.

ويذكر ابن ظفر بعد ذلك، كم كان يزدجر مختالاً، وعنيفاً، يمقته مواطنوه، وكيف أعجب بحصان متوحش اندفع به في لجة البحر فمات. أما بهرام جور، الذي أزاحه أحد الأمراء الفرس عن خلافة أبيه، فلم يستطع استرداد مملكته إلا بمساعدة العرب فرسان النعمان. لقد تحدىٰ منافسه، وخرج منتصراً من الامتحان الذي اقترحه هو نفسه، واستطاع بذلك أن يسترد سلطة أجداده.

وينصب الفصل الخامس من كتاب السلوان علىٰ **التفاني الذي يظهره الملوك والخلفاء المشهورون في كل مرة تظهر فيها أعباء الملك الثقيلة**. ويحكي في هذا الصدد حكايات متنوعة، مستقاة من الإغريق القدماء، ومن حياة العرب قبل الإسلام، ومن الأحاديث النبوية نفسها، وكلها تثبت، أنه ليس من شيء يفلت من قدره. ونجد في القسم الأخير قصيدة طويلة لابن ظفر يتحدث فيها عن تفاهة مكاسب الدنيا.

ويبدو لنا مما سبق، أن فكر ابن ظفر السياسي يقوم كله علىٰ مفهوم السلطة المطلقة، والإنية[٢٤] للأمير. إنه بذلك مثال

الرجل القروسطي، رجل من القرن الثاني عشر الميلادي، يحتاط كل الحيطة من أن يتجاوز حدود الاحترام، الذي يكنه للأمير المثالي، الذي يقدم له نصائح أخلاقية مفيدة. فالأمير، حسب عبارة ابن ظفر نفسه «أشد ندرة من الذهب، وأكثر روعة من عنقاء مغرب، وأكثر عُجْباً من الكيمياء».
ولا تتميز الحكايات والحكم الواردة في الكتاب من غيرها من مواده بأصالة الإبداع؛ فالمخزون القصصي الذي ينقله لنا ابن ظفر هو، غالباً، وباعترافه، منسوج على منوال ما نجده عند كتاب آخرين، سواء كان الأمر يتعلق بالحكايات التاريخية[٢٥]، أو الحكم[٢٦] المنثورة في الكتاب. وتكمن الأهمية الأدبية لكتاب السلوان، في اهتمام ابن ظفر بمحاولة تهذيب الروح، بإيراد قطع شعرية، وحكايات غريبة، وقصص رائعة، مستمدة في بعض الأحيان من الأدب الوعظي غير العربي (الهندي، الإيراني، أو الإغريقي).
ولهذا السبب يجد كتاب السلوان مكانه في سلسلة كتب الأدب[٢٧]، التي ازدهرت في الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، منذ أن دشن الجاحظ[٢٨] في القرن الثالث

الهجري/ التاسع الميلادي، أيام دولة بني العباس في الشرق هذا «الأدب المعرفي، المتنوع، والمعجب، الذي ليس علماً خالصاً، ولكنه يتخذ من الإنسان مركزاً له، بمحاسنه وشهواته، والوسط الذي يحيط به، والثقافة المادية والروحية التي ابتدعها هو نفسه»[٢٩]. لقد استوحىٰ ابن ظفر، وهو يؤلف كتاب السلوان، نموذجاً مشهوراً، كتاب كليلة ودمنة، وهو صياغة عربية تمت في العراق، في القرن الثامن الميلادي، بقلم الأديب ابن المقفع، اعتماداً علىٰ النسخة البهلوية لمجموعة سنسكريتية من الحكم، التي تمثل ضَبُعَيْن حاذقين، يؤديان دور مستشارَيْن لدىٰ الأسد ملك الغابة[٣٠].

الفصل الثاني

تفحص المنمنمات

إن مخطوطة الإسكوريال رقم ٥٢٨ محفوظة في حالة جيدة جداً؛ مكتوبة بالخط العربي قياسها ٢١٤ * ١٥٨ ملم[٣١]، وعدد أوراقها (٨٩) ورقة، وفي كل صفحة (١٧ سطراً)، وتحتوي على (٤٧) منمنمة تزينها، مرسومة على ورق، وهناك في الأصل منمنمة رقم (٤٨) تم تمزيقها[٣٢].

إن المنمنمات كلها مفصولة عن النص بنصف صفحة على الأقل، وهي أغلبها مضمنة في سياق السرد، وقد أرفقت كل منها بحكاية، وتتفاوت أحجامها ١٠٥ * ١٢٥ م أو ١١٠ * ١٣٠ م أو ٩١ *١٢٧ م، وهناك منمنمتان تشغل كل واحدة منهما صفحة كاملة ٢٠ ب = ١٨٥ * ١٤٦ م) (٤٠ ب =١٨١ * ١٣٦ م)، وقد تأثرت الورقة (٨٨ أ) بمرور الزمن.

تحتوي خمس منمنمات على مشاعر حيوانية حصراً، (الأوراق: ١١أ، ١٢أ، ١٣ب، ٣٥أ، ٦٨أ)، وتحتوي ٣٤ على منمنمة على مشاهد بشرية فقط(الأوراق: ٤ب، ٥أ، ٧أ، ٨أ، ١٥ب، ، ١٦أ، ١٧أ، ١٨أ، ١٩أ، ٢٥ب، ٢٧ب، ٢٩ب، ٣٠ب، ٣١ب، ٣٢أ، ٣٤أ، ٣٥أ، ٤٥أ، ٤٦ب، ٤٨أ، ٤٩أ، ٥١أ، ٥٥أ، ٥٩أ، ٦٠أ،

٦٣ ب، ٦٤ ب، ٦٦ ب، ٦٩ ب، ٧١ ب).

وتحتوي منمنمتان على خليط من العناصر الحيوانية والبشرية (الورقة ١٩أ، ٢٠ب، ٢٢أ، ٣٦ ب، ٤٠ب، ٥٧أ، ٧٣ب، ٨٦أ). وإن من أصعب الأمور، التعرف على الفنان الذي رسم هذه اللوحات اللطيفة. كانت نسخة مخطوطة الإسكوريال رقم ٥٢٨ مهداة إلى مكتبة عظيمة. إذا اعتمدنا في حكمنا هذا، على ما جاء في بعض الأسطر، التي يمكن أن نقرأها مكتوبة بحروف ذهبية تحت العنوان في الورقة (١ أ): وفيها، أن هذه النسخة من كتاب السلوان نُسِخَت للقاعد أبو محمد ابن القاعد بن زيد عبد الرحمن بن سعيد، الذي توفي على التقوى. ولم نستطع التعرف على هذين الحاكمين، ففقدنا بذلك معلومة تاريخية فائقة الأهمية، خصوصاً أن المخطوطة رقم ٥٢٨ تخلو من أي إشارة تاريخية. إن الموضوعات التي تعالجها المنمنمات متنوعة؛ فهي طوراً موضوعات إسلامية، وطوراً آخر مسيحية، وتساءل ديرنبورغ عن أصل هذه «الزخارف الثمينة»[٣٣]. وهل رسمتها ريشة فنان مسيحي من إسبانيا كما

يمكن الافتراض؟ إذا تأملنا الورقة (٤٠ب) التي تمثل مشهد المعارك، وتظهر فيها صورة عقاب شارل كينت Charles Quint؟ أم هي من عمل رسام مسلم كما تشهد بذلك معرفة الفنان بالطبائع والملابس الإسلامية في غير مشهد؟ وينبغي في هذا السياق، أن أسارع إلى الإشارة إلى المسألة التي قتلت بحثاً؛ وهي مسألة تحريم تصوير الوجوه في أرض الإسلام. لقد ذكّر كثير من الباحثين، وخصوصاً منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بمسألة تحريم القرآن استخدام الصور، وبما ورد في أحاديث النبي ﷺ(٣٤) من تحريم للرسم.

من المؤكد أن هناك عاملاً دينياً في أساس هذا التحريم. ألم تكن العقيدة الإسلامية في المقام الأول، ثورة على عبادة الأصنام؟ وتلا ذلك النفور من كل ما يمكن أن يكون تعدياً على قدرة الخالق وحده على الخلق؛ إن غياب صور الكائنات الحية في التزيينات، التي كان المسلمون يزينون بها المساجد، وتوظيفهم عناصر تزيينية ذات موتيفات هندسية، وزَهْرية، وكتابية يعود إلى عقيدة التوحيد غير الأيقونية التي جاء بها الإسلام.

إلا أنه، ومنذ بدايات الإسلام، نشأت فوارق بين القانون والممارسة. فقد كان بإمكاننا أن نتأمل على جدران المقاصير ومحتوياتها في قصور الخاصة، وفي المنازل الفخمة في عصور مختلفة، مشاهد تحتوي على محاكاة للكائنات الحية[٣٥]. وأصبحت المخطوطات العربية منذ القرن الثاني عشر تزين في نطاق ضيق بتوليفات فنية يدخل في تركيبها الأشخاص، وهي مرسومة بالألوان المائية على الورق[٣٦]، ومدرجة في جسمان النصوص، ومستوحاة من موضوعات دنيوية[٣٧].

ولم يكن مسلمو الأندلس، شأنهم شأن أشقائهم في الشرق، متمسكين بالتحريم الديني، الذي يفرض على المؤمن أن يحطم أي تماثيل للكائن البشري[٣٨]. ونعلم بفضل معلومة أوردها ابن خلدون في مقدمته[٣٩]، أن مواطني الملوك النَصْريين في غرناطة، وهم من معاصريه، كانوا في القرن الرابع عشر يشبهون كل الشبه مسيحيي إسبانيا بثيابهم، وبشعاراتهم، وبكثير من عاداتهم وطرق معيشتهم، وظهر ذلك في الرسم والتماثيل على الجدران[٤٠] وعلى المصانع والبيوت.

ولم يكن لهذا السبق التاريخي، أي صدىً في دراسات أكبر كبار الإسبان المهتمين بالعربية في نهاية القرن التاسع عشر فرانسيكو فرنانديز إي غونزالس Francisco Fernandez Y Con-zalez الذي سأله ديرنبورغ عن أصل هذه الرسومات فأبدىٰ شكاً في أصالتها، وقال: إن منمنمات مخطوطة السلوان في الإسكوريال «ليست إلاّ نسخاً متقنة مأخوذة من مجموعة أصلية». ويبدو أن عدداً من الفنانين المسلمين والمسيحيين اعتوروا العمل في هذه المنمنمات، مما يعلل تنوع الموضوعات المعالجة، وإن الناسخ «البارع»، نسخ لوحات فنية من أصول مختلفة دون أن يهتم بالمواءمة بينها[٤١]». ويبدو أن الناسخ واحد من أولئك المسلمين الذين ظلوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة بأيدي الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيل عام ١٤٩٢م، والذين يسميهم التاريخ الموريسكيين[٤٢].

أما رأي مؤرخ الفن فيليب نافارو Felipe Navarro فقد كان مختلفاً كل الاختلاف؛ فأكد أن المنمنمات أصلية، واستدل علىٰ ذلك بأن من قام بها شخص واحد، وبأن الرسوم غير مصطنعة، وبأن التنفيذ بارع[٤٣].

إن الأزياء العسكرية، التي تبدو في بعض لوحات مخطوطة السلوان، وقِطَع الأثاث التي تبدو فيها، وأسلوب هذه السلسلة من الرسوم، كل ذلك، تبدو عليه سمات القسم الأول من القرن السادس عشر في إسبانيا. ويمكن أن يرىٰ بسهولة؛ أنها من أعمال أحد الموريسكيين الذين تنصروا.

إننا نبدي بعض الملاحظات، التي تبدت لنا من دراسة مخطوطة الإسكوريال المزينة بالرسوم رقم ٥٢٨، دون أن نصدر أي حكم علىٰ صحة حجج كل من غونزاليس ونافارو المتناقضة كلياً.

نلاحظ في مخطوطة السلوان، فيما يخص فن الرسم، عبقرية تتضح في رسم الأشخاص والحيوانات، كما يبدو ذلك في ملامح النبلاء في بلاط المأمون الذين التفوا حول الأمير العباسي، الذي يقرأ لهم رسالة من أخيه الأمين (الورقة ١٥ أ). نلاحظ في بعض الأحيان ارتباكاً مدهشاً، في رسم الشخصيات(الورقة٤٨ أ) ولكن الأمر أقل إدهاشاً في مشاهد أخرىٰ(الورقة ٣٦ ب). وإذا ظهر لنا بعض

الارتباك في المشاهد الحيوانية(الورقة ١٣ ب) أو بعض الرعونة في التنفيذ(الورقة ٥٣ أ)، فإن هناك مطابقة شديدة للواقع، نجدها في الجرذين واليربوع والثعلبين والفيلين والحصان التي تبدو في مشاهد السلوان. إنها مرسومة على الدوام رسماً جانبياً، لا مقبلة ولا مدبرة، ولا تترك أبداً مجالاً للاستدعاء الفنتازمي، ولا لذلك الجانب العرفي اللذين يظهران في بعض المخطوطات العربية المزينة في الشرق ونكتفي بذكر مخطوطة Bestiaire Morgan[٤٤].

إن الاهتمام بمحاكاة الواقع يبدو جلياً في لوحة الفيلَيْن التي يظهر فيها الجلد والدقة (الورقة ٨٦ ب). هذان الحيوانان الواقعيان مرسومان بإحكام في الملامح يبرهن على مهارة الفنان. ويبدو الحصان الذي يظهر في منمنمة الورقة (٢٢ أ) مدهشاً في جماله.

إن بعض تزيينات كتاب السلوان لوحات حقيقية؛ لما نلمسه فيها من اهتمام بالإحكام (الورقة ٨٦ ب) وبالمنظور، ومن غنىً في التوليف، كما في ذلك المشهد الرائع للمعارك، الذي يشغل بمفرده الورقة (٢٠ ب).

ولا تبدو الصورة البشرية في أي موضع من المنمنمات ممدودة أو مبتورة، وكل ما نستطيع أن نلمحه لدى صاحب المنمنمات المجهول، بعض الميل إلى رسم بعض الوجوه بلا نسق (الورقة ٤ ب، و ٥ أ).

إن علم الفنان بادٍ في كل منمنماته، ويظهر جلياً الإتقان في التنفيذ في الورقة (٦٩ أ) التي تمثل ابنة ملك الهيلينيين. فالمنمنمة بسيطة وفائقة الجمال. وتسحرنا رقة العاطفة أيضاً في الصور البشرية في الورقة (٧٩ ب) (النديمتان). وتقتصر الإشارة إلى المشاهد الطبيعية، على مجموعة من الأشجار التي تكفي للإيحاء بوجود حديقة(الورقة ٧ أ، و ٤٥ أ)، أو بريّة(الورقة ١١ أ، ٢٥ ب، ٤٦ ب، ٦٨ ب، ٨٨ ب) أو حزاماً ضيقاً من العشب الأخضر (الورقة٩ أ) الذي يستدعيه وجود طاقات نبات السماق. استخدم في تنفيذ المنمنمات سلم ألوان متنوع تنوعاً كبيراً: فالأخضر والأزرق والأحمر والأصفر والبنفسجي، يضاف إليها الرمادي الفاتح، والأسود والأسمر اللذان يعطيان لونهما لبَوْص الحيوانات.

أما الحكايات والعناوين، فهي على الغالب مكتوبة بماء الذهب أو باللون الأخضر أو الأزرق والأحمر.

إن الطريقة التي عولجت بها أغطية الأثاث الخضراء والزرقاء ذات الحواشي المطوقة بالأسود، والستائر الصفراء المخططة بالأحمر والتي تتواءم مع درجة إشراق ألوان الكراسي، كل ذلك يفصح عن تناغم ساحر في العلاقات بين الألوان.

يبدو لنا، أن قطع الأثاث التي تظهر في بعض منمنمات كتاب السلوان اجتذبت الانتباه عندما مزجت بين العناصر المسيحية والإسلامية التي تحتويها.

إن أولئك الملوك، الفرس أو الهنود الذين يتداولون مع مواطنيهم وبطانتهم، وأولئك الأساقفة، الذين يضعون شعاراتهم الكهنوتية، هم شخصيات تحمل سمات الحياة الأوربية، وقد وضعها الفنان ضمن الديكور الذي يفرضه عليه وجوده في إسبانيا عصر النهضة التي هي بلا شك وطنه الأم.

إن تلك الشخصيات، تجلس على الغالب على نوع من المقاعد، له مساند مستطيلة الشكل تسمّى مقعد الراهب

بسبب كثرة استخدامها في الأديرة (الورقة ٢٩ ب، ٣٤ أ، ٦٠ أ). وهي تمت بصلة واضحة إلى المقاعد التي حفظت لنا شكلها الوثائق الأيقونية من القرن السادس عشر، وإلى المقاعد التي نراها اليوم في المجموعة الإسبانية الغنية، وخصوصاً تلك الموجودة في متحف الفنون التزيينية في مدريد. إنها تتسم بالبساطة، وإن فخامتها الوحيدة تبدو في تزيين الجلد المضغوط، وفي المخمل في القسم الأعلى، وفي القماش في القسم السفلي مثبتاً بوساطة المسامير الحديدية أو البرونزية[٤٥].

أما العروش، فتعلوها قبب رائعة، نراها في (الأوراق ٤ ب، و ٧٥ ب).

تذكّر بالعروش التي نستطيع تلمس روعتها في متحف برادو Prado[٤٦]. أما السرير الذي تستلقي عليه الأميرة الإغريقية المريضة، التي يروي لنا الكتاب قصتها المؤثرة، فهو الوحيد الذي لا يحمل سمات القرن السادس عشر الإسباني (الورقة ٦٩ ب). وما هو إلاّ سرير ذو قبة، أسجافه مرتفعة؛ ويتألف من هيكل خشبي ترتفع فوقه قبة

سرير ، تتدلى منها أسجاف مصنوعة غالباً من قماش نفيس ؛ وإن اللوحات الإسبانية ـ الفلامندية ، التي تتحدث عن ولادة المسيح عليه السلام ، أو عن عيد البشارة تعطينا صورة واقعية عن ذلك السرير(٤٧). ونعلم أن القصور والمساكن العربية كانت في إسبانيا ، كما هو الحال في دول الشرق الإسلامية ، قليلة الأثاث(٤٨). وكان الخلفاء والأمراء يستقبلون الزائرين والمبعوثين في قاعة ضخمة ، جدرانها مزينة بألوان زاهية ، جالسين على دكك وضعت عليها الوسائد ، أو على الأرض فوق السجاد. وقد تبنى ذلك النبلاء المسيحيون في إسبانيا عندما أصبحت طريقة الحياة الموريسكية مقبولة في القرن الخامس عشر ، وظلت موجودة حتى وسط القرن السادس عشر أيام حكم شارل كنت.

أظهر جرد قطع الأثاث والأدوات الشخصية التي وجدت في كويلار Cuellar ، في قصر دوق البكيريك Al buquerque الثالث بيلتران دولا كويفا Beltran de la Gueva وجود وسائد كانت تجلس عليها السيدات النبيلات على الطريقة الموريسكية ، ويفضلها على الكراسي المخصصة لرب المنزل ولمدعويه المهمين(٤٩).

إن فنان المنمنمات المجهول، أجلس أشخاصه من ملوك، ومواطنين، ومن ملوك وندماء، على وسائد ألوانها زاهية (أصفر، أو أخضر، أو أزرق)، مزينة بشرّابات، أو موشاة بالورود والرسوم الهندسية(الورقة ١٨ أ، ٣١ ب، ٣٥أ، ٤٨ أ، ٤٩أ، ٥١ أ، ٥٩ أ)[٥٠].

وإن الجاريتين اللتين روي لنا الحديث الذي يدور بينهما جالستان على سجادة، لها موتيفات (حوافر) خضراء وزرقاء وصفراء (الورقة ٧٩ ب).

لقد قام ميشيل قصيري، أحد الرهبان المارونيين، منذ ما يقارب قرنين بوضع أول فهرس للمخطوطات العربية في الإسكوريال، وقد أدهشته أصالة مخطوطة السلوان، فكتب قائلاً: «إن صور هذا الكتاب مرسومة بمهارة، عددت منها أربعين. يمثل بعضها ملوكاً فرساً، وعرباً، وبعضها الآخر ملكات جالسات على سجاد شرقي بملابسهن الملكية، ورؤوسهن مملوءة بالأحجار الكريمة[٥١]».

إننا، بفضل المخطوطة رقم ٥٢٨، ندخل في صلب الحياة الإسلامية في إسبانيا في القرن السادس عشر؛ ليس عَبْر

أسلوب المنمنمات، ولا عَبْر شكل قطع الأثاث فقط، وإنما أيضاً عَبْر ما تؤشر عليه الأسلحة، وشكل الألبسة، وتصفيفات الشعر. إن فنان المنمنمات المجهول، ألبس شخصياته أزياء عسكرية، وكهنوتية، ومدنية مستوحاة من مراقبة الواقع اليومي، وكان كل ذلك مشفوعاً بسرد حكايات من الماضي الإغريقي، أو الهندي، وبحديث عن المغامرات التي كانت تدور في رواية الفروسية المشهورة سابور وفيرزو، الموروثة من التراث الساساني. إن الجنود الذين يرتدون خوذاً لها قنازع، وهم ينصبون كميناً في الجبل(الورقة ٤٠ ب) ليسوا في واقع الأمر إلا مقاتلين إسباناً من جنود شارل كنت، يشبهون أولئك الذين كان الإمبراطور يستعرضهم في برشلونة عام ١٥٣٥م، قبل الغارة في الأراضي الإفريقية، على ميناء غوليت Goulette، ثم على مدينة تونس؛ وهي الغارة التي نجد ما جرى فيها من مغامرات ممثلاً في عدد من اللوحات الجدارية الرائعة[٥٢].

إن الطبول التي تبدو في الصف الأول في اللوحة نفسها، تذكر بالطبول، التي كانت، لسنوات قليلة خلت، تسير أمام

جيش شارل كنت في بولونيا[٥٣]. أما المحارب الذي يرتدي صدرية مصفحة بالحديد (الورقة٢٧ب)، والذي يظهر في بلاط خسرو، فإنه يرتدي لأمَة نستطيع أن نرى مثيلتها في متحف الأسلحة الملكي في مدريد، ضمن مجموعات القرن السادس عشر. أما العرب الذين نجدهم في منمنمات مخطوطة السلوان، فهم، في الأعم الأغلب، مسلحون بالسيوف(الورقة ٢٢أ ـ ٤٥أ)، التي تشبه أغمدتها ذات العوارض، أغمدة السيوف التي يستخدمها المقاتلون في شمال إفريقية في اللوحات الجدارية التي نفذها فلاندر Flandres لتمثيل مراحل غزو تونس[٥٤]. أما ذلك الراهب الصارم، الذي يلبس السواد (الورقة ٢٩أ و٤٣أ)، وذلك الناسك الذي يرتدي قلنسوة (الورقة ٨٨أ)، ورئيس الأساقفة الذي يضع على رأسه تاج الأسقفية، ويحمل في يده عصاها (الورقة ٢٩ب و٤٣أ)، هم مواطنو الكاردينال المشهور Cisneros، وغيره من أساقفة العصر ومطارنته.

وأخيراً، إن الجارية التي جعلت رسالتُها الملكَ يقرر التنازل عن العرش تلبس معطفاً قصيراً saya، له أكمام واسعة

مفتوحة، اتخذت منه سيدات المجتمع الراقي في إسبانيا لباساً بين عامي ١٥٣٠ و ١٥٣٩م، على طريقة إمبراطورة البرتغال إيزابيلا[٥٥]. أما الملابس، التي ألبسها الفنان الأبطالَ العربَ في السلوان، فهي خليط غريب من العناصر الإسلامية التقليدية والعناصر الإسبانية الأصلية. أولئك المسلمون الملتحون، ذوو الشعور الطويلة، يلبسون الدراعة[٥٦](الورقة ٧ أ، ٨ أ، ١٥أ، ١٦ أ، ١٧ أ، ١٨ أ، ٣١ ب، ٣٥ أ، ٤٦أ، ٦٣ ب)، وهي نوع من البلوزة الطويلة جداً، ولها أكمام واسعة يلبسها المسلمون في الأندلس وفي المغرب فوق القميص منذ عدة قرون، وقد ترك لنا الرحالون الأوربيون الذين زاروا شمال إفريقية في القرن السادس عشر وصفاً دقيقاً لها[٥٧]. هذه الدراعة التي أصبحت في اللغة الإسبانية adorra يبدو من خلالها في بعض الأحيان سروال أبيض، اسمه في الإسبانية zaragüelles [٥٨]، يصل حتى عقب الرِجْل؛ ويلبسه وزير المأمون الذي يظهر في الورقة(١٥ أ) في الصف الأول، إلى اليسار، شأنه شأن التاجر الثري، الذي يعثر على ظبيه (الورقة٣٦ ب)، أوالخليفة

الهادي، يسيطر على السجين المتمرد(الورقة ٤٥ب).

إن الأشخاص العرب، الذين وردت رسومهم في كتاب السلوان يلبسون معطفًا مغلقًا من الوبر، لونه في الأعم الأغلب أبيض، وفوقه قلنسوة تزينها في بعض الأحيان شرَّابات؛ اسمه البرنس، الذي نعلم من ترجمة مقدمة ابن خلدون، أن استخدامه عمَّ بلاد البربر وإسبانيا في القرن الرابع عشر؛ ولعله استمر بعد ذلك زمناً[٥٩]. إن المنمنمة الواردة في الورقة(٤٢ أ) تظهر لنا زعماء قريش المجتمعين في الخيمة، ويلبسون برانس بيضاء أو مُعْلمة. وظل البرنس هو لباس الحرب، وفي الوقت نفسه لباس السفر المفضل، وإن الفرسان المسلمين، الذين يظهرون في لوحات فيرمين الجدارية، وهم يدافعون ببسالة عن أرضهم ضد حاملي البنادق الإسبان، يلبسون البرانس. ويبدو أن البرنس شهد في إسبانيا المسلمة تطوراً ليتلاءم مع الخصوصية المحلية إلى جانب المظهر التقليدي، الذي تعطينا الأوراق(٦أ، ١٥ أ، ٤٩ أ) صورة رائعة عنه؛ إنه البرنس الذي يوصل غطاء الرأس فيه بنوع من الدثار[٦٠]، وقد كان من قبل معروفاً لدى

النَصْريين في غرناطة في القرن الرابع عشر، كما تثبت ذلك الرسوم الموجودة على إحدى القباب الجانبية في صالة المحكمة في قصر الحمراء في غرناطة[٦١]. ويلبس المرزبان، الذي يستقبل موفد خسرو برنساً أيضاً(الورقة ٥٧أ).

إن غطاء الرأس لدى المسلمين في كتاب السلوان، هو العمامة؛ وقد كان استخدامها شائعاً منذ زمن في بلاد البربر بين السكان الحضر؛ ثم تبناها المسلمون في الأندلس بعد تردد[٦٢]. لقد اتخذ بعض الوجهاء، وبعض الذين اشتهروا بعلمهم، من العمامة علامة تميزهم. وقد أثبت الفنان الماهر في السلوان، المظاهر المتعددة للعمامة: العمامة المغربية المكونة من حجاب يغطي النحر والخدود، والتي صُنع منها فيما بعد ضرب من التاج يغطي الرأس[٦٣]، كان العلماء، ورجال الدين، ورجال الطبقات الغنية يغطونها بقماش أبيض أو ملون (الأوراق ٨أ ١٥أ ١٦أ ١٧أ ١٨أ ٤٥أ ٦٠أ ٦٣أ)، اسمه الطيلسان[٦٤]، وكان يلتف حول الذقن، وينتشر فوق أعلى الجسد (الأوراق ٥ ـ ١٧أ، ٣١ ـ ٦٣ب)، لأن العمامة لا تغطي إلا الجمجمة. إن هذا النوع الأخير من

أغطية الرأس، المصنوع مسبقاً، ويوضع على الرأس كما توضع القبعة، يبدو في الورقة ٤٥ أ على الأرض. وهناك أيضاً أغطية رأسٍ، تأخذ شكل عَمْرَة تكون فيها الطاقية الأساسية بلون داكن، وتبرز من قطعة القماش التي تحيط بها (الورقة ١٥ أ، و٨٦ أ)[٦٥]. ينتعل الأبطال العرب في كتاب السلوان سويقيات(٦٦) من الجلد تصل حتى ربلة الساق، كان الناس يلبسونها في الحرب منذ القرن الخامس عشر (الأوراق ٤ ب- ٢٧ ب)[٦٧]. أما الرجال فإنهم يكتفون سواء فيما يلبسونه لأعمالهم اليومية، أو في بيوتهم، بأحذية كبيرة من الجلد المدبوغ (الأوراق ٢٥ ب- ٤٩ ب- ١٨ أ)، أو إنهم يلبسون أيضاً بوابيج أنيقة، ذات ألوان متنوعة (الأوراق ٧ أ- ١٧ أ- ٦٣ ب).

وإذا كانت النساء لم يظهرن غالباً في مشاهد كتاب السلوان، إلا أن الفنان قدم لهن صورة كاملة، فيها كثير من الأناقة. إن المحظيتين المكشوفتي الوجه، ترتديان ثوبين فضفاضين أبيضين (الورقة ٧٩ ب)، ياقتاهما وأكمامهما العريضة تمتلئان بشرائط حريرية أو ذهبية متقنة الصنع.

وتلتف حول جبين كل منهما عصابة تحيط بغطاء الرأس الذي يتدلى حتى الكتفين. وهما تتزينان بعقود فخمة، فيها جواهر غالية. وآذانهما مزينة بأقراط على شكل ذوائب الثريا[٦٨].

لقد وضعتا قرب السجادة التي تجلسان عليها، خفين من الجلد الرقيق، مزينين بشرائط حريرية ذات ألوان زاهية، وربما كانت الشرائط من الذهب أو الفضة، الـ sharbil الذي كان استخدامه شائعاً عند الموريسكيين في غرناطة في القرن السادس عشر[٦٩]. أما قطعة القماش العريضة التي تلتف بها الساحرة (الورقة ٧١ ب) فهي الملحفة[٧٠]، التي تمتلك حولها حكايات رائعة، رواها رحالون أوربيون في إسبانيا الربع الأول من القرن السادس عشر[٧١]. أما الخادمة السوداء، التي تبدو في المنمنمة نفسها؛ فإنها تضع ساقيها في سراويل لونه أبيض، تمشيًا مع التعاليم الدينية[٧٢]. ونجد في مقابل ذلك، أن المسلمة الفقيرة، التي تمثلها امرأة الطحان (الورقة ٦٦ ب) تلبس مجرد قميص أبيض فضفاض، ومنديلاً يمسكه خيط غليظ يغطي رأسها: وهي تمشي حافية.

يظهر التفحص المتأني لمخطوطة السلوان، أن هناك تبسطاً

في اللبـاس عند عـامـة المسـلمين. إن الرجل من عـامـة الناس الذي يسـتـدعيـه الخليفـة (الـورقـة٧أ)، يلتف بكسـاء، وهذا اللباس الزراعي والحضري في الوقت نفسه ليس مخيطاً ولا مفصلاً[٧٣]، إنه قطعـة من القـمـاش مستطيلة الشكل، تُلف حول الجسد.

ويرتدي اللص، الذي يفـاجئ الناسـك في مصـلاه (الورقـة ٦٤ ب) الزي نفسـه، وهو زي قديم وبسـيط. أيمكن القـول: إن الثوب العريض، ذا الأكمام القصيرة، الذي يرتديه المتمرد في (الورقـة ٤٥أ) هو الزي المحلي التقليـدي للجلابة[٧٤] في شمـال إفـريقـيـة؟ هذا مـا لا نستطيع تأكيـده؛ لأننا لا نملك السـيـاق الموضح. ويبـدو لنـا، أن في بعض عنـاصـر الزي الرجالي دلالة على تأثير إسباني أكيد. ويبدو ذلك، في المقام الأول في تلك السـتـرة ذات الـذيل الطويـل المشـدودة على الخصر، التي يلبسـها الطحان (الورقة ٦٦ ب)، والتي مـا تفتأ تذكـرنا بصـورة الموريسكي الذي يقـدم الخبـز، وهـي صـورة نجدها ممثلة في لوحة من هذا العصر[٧٥]. وتذكرنا تلك السترة بالـ jupel وهو لبـاس شعبي أيام شـارل كنت. أليست الحلة

التي يرتديها أحد حراس الفيلة (الورقة ٨٦ أ) هي العباءة ؟ ثم ألا تستدعي المعاطف، المخططة، ذات الأربطة الحريرية، التي يلقيها التاجر العربي والجلساء الفرس بلا عناية على أكتافهم (٢٧ أ - ٣٦ب - ٤٦ ب) ذلك الكاب البرنس الإسباني الذي كان شائعاً في القرن السادس عشر، والذي أظهرت لنا الوثائق الأيقونية في مظاهر متنوعة[٧٦] ؟ وأخيراً، ألا تشكل تلك القبعة المدببة، التي تضعها بعض الشخصيات العربية في السلوان على رؤوسها (الأوراق ٥ أ - ٢٠ ب - ٣١ب - ٤٩ أ) واحدة من علامات لباس الزعماء الموريسكيين في بداية القرن السادس عشر[٧٧]؟ ونمتلك معلومات وافية حول لباس هؤلاء الرجال والنساء الموريسكيين، بفضل شهادات الرحالين الأوربيين، الذين جاب بعضهم إسبانيا بعد سقوط غرناطة، وبعضهم الآخر، على امتداد القرن السادس عشر[٧٨]. وتبدو ملامح المجتمع المسيحي الإسباني إبان حكم شارل كنت في الوثائق الأيقونية، وليس الموريسكيون بغائبين عنها؛ إذ ندين للصورة التي قدمها النقاش الألماني كريستوف ويديتز بأكثر المعطيات الموثوق بها

فيما يخص الزي الإسلامي، الذي بقي في الأندلس بعد سقوطها. وإن الصور التي تزين أعمال ويديتز[٧٩]. لا تتقاطع على الدوام مع ما تقدمه لنا منمنمات السلوان؛ ولكن تلك الصور تثبت على وجه الخصوص أنه كان يشيع لدى الموريسكيين في غرناطة استخدام ثوب داخلي ثنائي اللون، نظن أنه المارلوتا الأندلسية، التي كانت شائعة في القرن الخامس عشر[٨٠]، والتي طالما تغنى بها شعراء الرومانس الإسبان. ونجد أيضاً عادة لبس سراويل فضفاضة، وجوارب واسعة من القماش، تلتف حول بطات الأرجل؛ وتشير لدى الرجال إلى ترك الزي العربي التقليدي، وتبني الدرجة المسيحية وخصوصاً ما يشيع في المدن[٨١].

إذاً، نميل إلى الاعتقاد أن هذا التأثير المزدوج، المغربي والإسباني، الذي يبدو بوضوح في معرض الأزياء الرائع الذي تقدمه لنا مخطوطة السلوان في الإسكوريال، هو نتيجة ذلك التوليف الغريب الخاص بالموريسكيين في إسبانيا، وخصوصاً الغرناطيين، والذي سلطت بعض الأضواء عليه،

بعض الدراسات الحديثة[٨٢]. وإن كنا لا نستطيع كشف الغموض الذي يحيط بالفنان الذي نفذ منمنمات كتاب السلوان في ضوء معارفنا الحالية، فإننا نضع الفرضية الآتية: إن ذلك الفنان هو أحد الموريسكيين، الذين تمردوا على محاولات التنصير، التي فرضها العرش الإسباني، ويبدو أنه لجأ إلى المغرب الأقصى في النصف الأول من القرن السادس عشر، فهو إذاً من أولئك الرجال الذين عبروا المحيط، والذين يبرز لنا أرشيف الحمراء حياتهم الاجتماعية في أدق تفاصيلها. لقد احتفظ من مسقط رأسه، الذي كان مرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً، فن الرسم، الأسلوب الإسباني الذي نستشفه في إنجاز كل واحدة من منمنماته. لقد قرن بين الواقعية العملية الدقيقة في تصوير البشر والحيوانات، التي تدل على أن وراءها فناناً مسلماً بارعاً، متمكناً من مهنته. إن مخطوطة الإسكوريال من كتاب السلوان، وهي وثيقة ذات أهمية كبيرة لدراسة العادات والثياب عند المسلمين في إسبانيا والمغاربة في القرن السادس عشر، ينبغي أن يكون لها مكان مميز في الفن الإسباني - المسلم؛ إنها حلقة في سلسلة

المخطوطات المزدانة في الإسلام الغربي الذي لا نملك حوله حتى اليوم إلا إشارات بسيطة[٨٣]. إنها تستحق بعض الاهتمام، بسبب الشهادة التي تؤديها في المجال الذي ذكرناه.

الهوامش

١ـ في أصل الترجمة التي اقتبسنا منها: سلوان المطاع في عدوان الطباع، وهو تصحيف صححناه. (المترجم).

٢ـ حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/٦٦١. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) ((GAL ١/ ٤٣١. فكتور شوفان: ثبت بالمؤلفات العربية (بالفرنسية) ليبج/ ليبسك ٢/١٧٥ ـ ١٨٧. عن كتاب تاريخ صقلية الإسلامية، ص١٣٩ (الحاشية رقم٤). (المترجم).

٣ـ ريتسيانو، دائرة المعارف الإسلامية (بالإنجليزية) ٣/ ٩٧٠. (المترجم).

٤ـ فهرس المخطوطات العربية في الإسكوريال، مج١، باريس ١٨٨٤م، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٨. (المترجم).

٥ـ ترجمة ابن ظفر في: موسوعة الإسلام L, Encyclapedie de L, Islam (الطبعة الأولى)، مج٢، ص ٤٥٥، وانظر بروكلمان (بالألمانية ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢، والملحق ١/٥٩٥ ـ ٥٩٦. (المترجم).

٦ـ انظر وفيات الأعيان (ط. بولاق ١٢٩٩هـ/١٨٨١م) مج١، ص٦٦٠، والسيوطي في بغية الوعاة، القاهرة: ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص ٥٥ ـ ٦٠.

٧ـ في عام ١٨٥١ بعنوان سلوان المطاع، ثم في عام ١٨٨٢. وظهرت ترجمة إنجليزية في مجلدين عن الإيطالية في لندن عام ١٨٥٢ لها مقدمة تحتوي على دراسة أساسية حول ابن ظفر: حياته ومؤلفاته. وتقارب مخطوطات سلوان المطاع في أوربا العشرين ذكرها أماري في مقدمته لترجمته الإيطالية في عام ١٨٥١، وهي

مذكورة أيضاً في مقدمة الترجمة الإنجليزية (ص ٩٢ ـ ١٠٥)، ويضاف إليها نسخة فاس (القرويين) التي أشار إليها بلاشير ورينو في كتابهما : إحصاء أولي للمخطوطات العربية الموجودة في المكتبة العامة للمحمية الفرنسية في المغرب (سنوات ١٩٢٩ - ١٩٣٠)، هسبريس، XII، ١٩٣١، الكراسة ١، ص ١١٧. (المترجم).

٨ طبع سلوان المطاع في القاهرة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م، وفي تونس ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م، وفي بيروت ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م. (المترجم).

٩ـ انظر : المجلة الآسيوية، ١٨٦٩، ١١، ص ٨٦. وانظر أيضاً المراجع التي يذكرها شوفان V.Chauvin في كتابه : ببليوغرافية لكتب الغرب التي تتحدث عن العرب المطبوعة في أوربا المسيحية من ١٨١٠ - ١٨٥٥، مج ٢، ليبيج ١٨٩٧ م، ص ١٧٥ - ١٨٧. (المترجم).

١٠ـ في الإسكوريال نسختان أخريان من السلوان غير مزينتين برقم ٧١٣ غير مؤرخة، ورقم ٧٦١ منسوخة سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م. وقد حلل أماري في مقدمة ترجمة الكتاب إلى الإنجليزية (ص ١٠٢) مقدمة ابن ظفر الأولى لكتابه، وحلل المقدمة الثانية في (ص ١٠٣) والفروق التي أشار إليها المستشرق الإيطالي (أماري) الذي كان يستخدم النسخة المعدلة من كتاب السلوان. (المترجم).

١١ـ انظر أريي، الدراسات حول الموريسكيين في إسبانيا، في ضوء

بعض الأعمال الحديثة في مجلة الدراسات الإسلامية، ١٩٦٧م، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٩. (المترجم).

١٢ـ إن المخطوطات المزينة بالرسوم، التي وصلتنا من الغرب الإسلامي نادرة.انظر: ل. توريس بالبيس L.Torres Balbis، المنمنمات الإسبانية القروسطية de influjode الإسلامية في مجلة الأندلس،العدد ١٥ (١٩٥٠ م)، ص ١٩١ ـ ٢٠٢. لقد أثار اكتشاف لوفي ديلا فيدا G.Levi della Vida في مكتبة الفاتيكان، عام ١٩١٤ م المخطوطة المزينة لكتاب قصة بياض ورياض ضجة كبيرة. ونعتقد أننا قادرون على تأريخه من القرن الثالث عشر الميلادي؛ لأن الأشكال الخطية، وتفاصيل العمارة تسمح بنسبتها إلى فنان مسلم ولد في إفريقية الشمالية أو في إسبانيا. وإن المخطوطة الوحيدة المكتشفة حتى يوم الناس هذا من الغرب الإسلامي، والتي تفصح عن أصلها هي: مقالة عن النجوم الثابتة للصوفي، أُنجزت في Ceutaعام ١٢٢٤ م. انظر ايتينغوسين، م. س.، ص١٢٥. (المترجم).

١٣ـ المجلد الأول، باريس ١٨٨٤م، ص٣٥٥ ـ ٣٥٨.

١٤ـ انظر الترجمة المخصصة لابن ظفر في موسوعة الإسلام (الطبعة الأولى)، مج٢،ص٤٥٥ (مقالة غير معروفة الكاتب)، وانظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي،ج١،ص٣٥١ ـ ٣٥٢، والملحق،ج١، ص٥٩٥ـ ٥٩٦.

١٥ـ انظر على وجه الخصوص، ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعة

بولاق (١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، مجـ١، ص٦٦٠،والسيوطي،بغية الوعاة،القاهرة،١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص٥٥ ـ ٦٠.

١٦. حول السلطان نور الدين، الذي كان الصليبيون يسمونه Noradin انظر كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب والدول الإسلامية، منذ البدايات حتى اليوم، باريس١٩٤٩، ص١٩٠. ١٩٢؛ بحوث في تاريخ مصر، لعدد من المؤرخين والآثاريين، القاهرة ١٩٣٢ م، القسم الثاني: مصر الإسلامية منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني، لـ G.Wiet ويت، ص١٩٤.

١٧. انظر المخطوطة رقم ٥٢٨، الورقة ٣ أ.

١٨. حول سياسة روجيه الثاني الصقلي بخصوص مسلمي إفريقية، انظر مارسيي G.MarÇais، البربر المسلمون والشرق في القرون الوسطى، باريس،١٩٤٦، ص٢٢٢ ـ ٢٢٥.

١٩ ـ في عام ١٨٥١ م، بعنوان:

Solwan el Mota', ossiano conforti politici di Ibn Zafer, arabo siciliano del XII seclo.

ثم ظهرت هذه الترجمة ثانية في عام ١٨٨٢ م. وظهرت في عام١٨٥٢ م، في لندن، ترجمة إنجليزية في مجلدين عن الترجمة الإيطالية، مسبوقة بدراسة ضافية عن ابن ظفر ومؤلفاته، بعنوان:

Solwan or Waters of Comfort by Ibn Zafar,a Sicilian Arab of the Twelth Century.

ويورد أماري قائمة بمخطوطات كتاب السلوان الموجودة في المكتبات الأوروبية (وهي تقارب العشرين)، وذلك في مقدمة الترجمة الإيطالية في عام ١٨٥١ م LXVI et LXVII، وكذلك في مقدمة الترجمة الإنجليزية (ص٩٢ - ١٠٥). وينبغي أن يزاد عليها مخطوطات فاس التي أشار إليها ريجيس بلاشير و رونو R.Blachere et H. -P.-J. Renaud في جرد أولي للمخطوطات العربية، التي حصلت عليها المكتبة العامة للمحمية الفرنسية في المغرب (عامي ١٩٢٩م و١٩٣٠م)، هسبريس، ١٢، ١٩٣١م، الإصدار الأول، ص١١٧.

٢٠- طبع السلوان في القاهرة سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م، وفي تونس سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، وفي بيروت سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.

٢١- انظر المجلة الآسيوية، ١٨٦٩، ٢، ص٨٦. وانظر أيضاً المصادر التي ذكرها شوفان V. Chauvin في ببليوغرافيا الكتب العربية المطبوعة في أوربا المسيحية من عام ١٨١٠م إلى عام ١٨٥٥م، مج٢،ليبج ١٨٩٧م، ص١٧٥ - ١٨٧.

٢٢- إن في مكتبة الإسكوريال، عدا النسخة المدروسة، نسختين من كتاب السلوان ليستا مزينتين، برقم ٧١٣ (غير مؤرخة)، وبرقم ٧٦١ (نسخة مؤرخة في ٩٤١هـ/١٥٣٤م). انظر في الترجمة الإنجليزية المذكورة أعلاه لأماري تحليل مقدمة الكتاب في النسخة التي كتبها ابن ظفر (ص١٠٢)، وكذلك تحليل مقدمة النسخة الثانية (ص ١٠٣)، والفروق التي سجلها المستشرق

الإيطالي بين النسختين، علماً أنه استخدم النسخة الثانية من السلوان.

٢٣- حول بهرام الخامس، المسمى جور بسبب قسوته، انظر مقالة بهرام، بقلم ماسي Cl. Huart - H. Masse في موسوعة الإسلام، ط٢، ص٩٦٧ - ٩٦٨.

٢٤- Emanant الإنية مفهوم فلسفي يعني الكمون المؤكد(المترجم).

٢٥- انظر قصة الوليد، وقصة عبد الملك بن مروان، وقصة المأمون، والحكايات الفارسية للخشناواز، ولسابور الثاني، ولبهرام جور.

٢٦- الناسك واللص، ابنة ملك الهيلينيين، الحاج الذي أقام ديراً، الطحان وزوجته. ونجد الحكاية الأخيرة هذه أيضاً، في ألف ليلة وليلة، انظر شوفان، م. س.، رقم ٢١. وحول ألف ليلة وليلة، انظر مقال ألف ليلة وليلة في موسوعة الإسلام، ط١ ،مج١ بقلم J. Oestrup، ص٢٥٥ - ٢٥٩، والملحق، ص١٨ - ٢٢ بقلم D. B. Macdonald، موسوعة الإسلام، ط٢، ص٣٦٩ - ٣٧٥ بقلم E.Littman.

٢٧- انظر حول هذا المصطلح في موسوعة الإسلام، ط٢ مقالة أدب بقلم غابيريللي F. Gabrieli، ص١٨٠ -١٨١، وانظر أيضاً نالينو C.A.Nallinoالأدب العربي منذ البدايات حتى العصر الأموي، ترجمه إلى الفرنسية شارل بلا، باريس ١٩٥٠م، ص٢٢.

٢٨- انظر حول هذا الأديب المشهور، مؤلف كتاب البخلاء من بين كتب أخرى، شارل بلا، البيئة البصرية وتكوين الجاحظ الثقافي، باريس ١٩٥٣ م.

٢٩. انظر مقالة غابيريللي، م. س.، ص١٨١.

٣٠. تنسب هذه المجموعة لعالم هو براهمان بيدبا، وقد أثرت في الأدب العام عندما أخذت شكل كليلة ودمنة. وعن النسخة العربية أُخذت ترجمة كتالانية، و لاتينية، وعبرية، ثم استوحت تلك الترجمة كتبًا أدبية مشهورة في الغرب مثل: رواية الثعلب، حكايات بوكاس، وحكايات لافونتين. وحول الأهمية الأدبية لكتاب ابن المقفع، انظر الترجمة الفرنسية له بقلم أندريه ميكيل A. Miquel، باريس ١٩٥٧م.

٣١ ـ يشير الرقم الأول لطول الأوراق والثاني لعرضها بالميلمتر، وسنتبع الطريقة نفسها في الإشارة إلى حجم المنمنمات.

٣٢. بين الورقة (٦١ ب) والورقة (٦٢ أ) هنا نصف صفحة تحتوي على الحكاية التالية : يزدجر يخاطب العرب. ومن المرجح أن المنمنمة رقم (٤٨) كانت تزين أعلى هذه الصفحة.

٣٣. المخطوطات العربية في الإسكوريال، ص ٢٧٥.

٣٤. انظر في: موسوعة الإسلام (ط ١)، مقالة بعنوان: صورة، مج ٤، بقلم فنسينك Wensinck، ص ٥٥٨ ـ ٥٩٠؛ وأخرى بعنوان: تصوير، مج ٤، ص ٧٢٨ ـ ٧٢٩، بقلم أرنولد .T.W.Arnold وقد رأى الأب هنري لامانس H.Lammens أن تأثير اليهود الذين أسلموا عمق لدى المسلمين الأوائل التحريم القرآني للتصوير (موقف الإسلام في بداياته من فنون التصوير، المجلة الأسيوية، الإصدار ١١، مج ٦، ١٩١٥م، ص ٢٣٩ ـ ٢٧٩). ونحيل إلى الببليوغرافيا التي يوردها

كريسويل K.A.C.Creswell، ببليوغرافيا التصوير في الإسلام، القاهرة، ١٩٥٣م، حول مسألة الصور في الفن الإسلامي.

٣٥ـ ايتينغوسلين E.Ettinghausen وصف في كتابه: الرسم العربي، جنيف ١٩٦٢م، اللوحات الجدارية التي كانت تزين صالات القصور العربية في العصر الأموي في دمشق، وفي قصير عمرة (القرن الثامن)، وفي أيام بني العباس في بغداد في سامراء (القرن التاسع)، فقد كان في القصر الأول مشاهد رياضية، ومهنية، وفي القصر الثاني صور الراقصات وحاملات النذور. انظر المقالات عن عمرة وسامراء في: موسوعة الإسلام، ط.١.

٣٦ـ وليس على الرق، كما كانت الحال بالنسبة إلى المنمنمات الأوربية القروسطية ونتبع هنا التعريف الذي أعطاه ريو L. Réau في كتابه: تاريخ الرسم في القرون الوسطى، مولان Melun، ١٩٤٦م، ص ٢٣٠ وما بعدها. انظر: مارسي G. MarÇais، المنمنمات الإسلامية، الجزائر، ١٩٦٠م. وانظر أيضاً مقدمة مارسي لكتاب راسيم M. Racim، الأمس الإسلامي، الجزائر، ١٩٦٠، ص ٥ وما بعدها.

٣٧ـ هناك كتابا أدب عربيان من الشرق، متساويان في الشهرة، استوحى منهما فنانو المنمنمات العرب: كليلة ودمنة (انظر ما سبق ص ٨)، والمقامات التي ألفها الحريري في القرن العاشر. ويُنسبان إلى ما يسمى المدرسة البغدادية. ونحيل في هذا الموضوع إلى قائمة المخطوطات المزينة التي أنجزها هولتر

K.Holter في:

Die Islamischen Miniaturhand Schiften Vor 1350 Zentralblatt für Bibliothekswesen, IIV, 1937, PP. 1-34.

ونحيل أيضاً إلى بوشتال H.Buchtal وكورز O.Kurz وايتينغوسين في: حواشٍ مكملة لقائمة هولتز حول المخطوطات الإسلامية القديمة المزخرفة حتى سنة ١٣٥٠ في: الفن الإسلامي، ٧، ١٩٤٠م، ص ١٤٧ - ١٦٤. وحول أولى مخطوطات كليلة ودمنة المحتوية على منمنمات، والتي أُنجزت في بلاط أحد الأمراء المسلمين في شمال سورية في القرن الثالث عشر، انظر بوشتال M.Buchtal المنمنمات الهيلينية في المخطوطات الإسلامية المبكرة في: الفن الإسلامي، ٧، ١٩٤٠م، ص ١٢٥- ١٣٠. وللمؤلف نفسه يمكن الاستفادة من مقالته: الحكايات الخرافية الهندية في الفن الإسلامي في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، ١٩٤١م، ص ٣١٧ - ٣٢٤.

٣٨. انظر في هذا الخصوص ذكر مدينة الزهراء، مقر الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث في ليفي بروفنسال E. Lévi-ProvenÇal، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج٣، باريس ١٩٥٠م، ص١٣٥ - ١٣٦والأوصاف الشعرية للتماثيل والأشياء المزينة بالرسوم التي أشار إليها هنري بيريس H. Pérès في الشعر الأندلسي العربي والكلاسيكي في القرن الحادي عشر، باريس،

١٩٥٣م، ص ٣٢٧.

٣٩. انظر: مقدمات، نص Quatremère، ١، ص ٢٧٦ (ط. بيروت، ص ١٤٧، ط. القاهرة، ص ١٢٨) ترجمة دوسلان De Slane، ١، ص٣٠٧.

٤٠ . نحيل بخصوص الرسومات الجدارية التي تزين سقف صالة المحكمة في قصر الحمراء في غرناطة إلى كتاب رحيل أريي R. Arié، نظرات في زي مسلمي إسبانيا في عهد الدولة النصرية، أرابيكا Arabica، مج ١٢، ١، الكراسة ٣، ص ٢٤٦.

٤١. ديرنبورغ، موثق سابقاً، ص ٣٥٥.

٤٢. انظر مدخل Moriscos في : موسوعة الإسلام، ط. ١، مج ٣، ص ٦٤٦ ـ ٦٤٧، بقلم ليفي بروفنسال.

٤٣. ديرنبورغ، موثق سابقاً، ص ٣٥٨.

٤٤. انظر على وجه الخصوص تصوير الأفيال المروّضة في كتاب منافع الحيوان Bestiaire Morgan نيويورك في: بيجوان J.Pijoan، التاريخ العام للفن، مج ١١، الفن الإسلامي مدريد، ١٩٤٩م، ص ٣٣٢، الشكل ٤٦٢. وانظر أيضاً لوريي E. Lorey، كتاب رسوم الحيوانات في الإسكوريال في مجلة: جريدة الفنون الجميلة، ١٨٧٥م، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٨.

٤٥. انظر : هاردیندورف بور:

G. Hardendorff Burr Hispani furniture from the15the through the 18th

centry, New York, 1964, PP. 27 et Luis Martinez Feduchi, Antologia de la Silla espanola, Madrid, 1957, Figures 20 et 30.

٤٦. انظر: هارديندورف بور، المذكرة أعلاه، الشكل ١٠، ص ١١.

٤٧. انظر: ماركيز دو لوزويا Marqués de Lozoya وكلاريت روبيرا J. Claret Rubira Muebles de estilo espanol desde el gatico basta el siglo XIX, Barcelona, 1962, PP. 20 وهارديندورف بور، مذكور سابقاً، ص٢١، الشكل ٩١.

٤٨. انظر: ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج ٣، ص ٤١٤ ـ ٤١٦، باريس، ١٩٥٣م.

٤٩. انظر: هارديندورف بور، مذكور سابقاً، ص ٢٢ و ٢٥.

٥٠. هناك إشارة إلى عدة أنواع من الوسائد الموريسكية المصنوعة من الحرير، وذات ألوان متنوعة - يغلب عليها الأخضر والأصفر - في وثائق غرناطية مستخرجة حديثاً من أرشيف قصر الحمراء. إن جرد هذه الممتلكات الموريسكية التي تنصب على الفترة من ١٥٥٧ م إلى ١٥٦٩ م يلقي الضوء على الحياة الإسلامية الخاصة في غرناطة وتوابعها. انظر : مارتينيز رويز J. Martinez Ruiz في Almohadas y calzados moriscos, Revista de Dialectologia y Tradiciones Populares, Tomo XXIII, Madrid, 1967, Guadernos, 3-4, PP. 292 Sq.

٥١ ـ انظر: المكتبة العربية - الإسبانية، مج ١، الرقم DXXV استشهد بهذه الأسطر هنري لافوا H. Lavoix، مقالة مذكورة سابقاً، ص ٣٤

ـ ٣٥، واستشهد بها أيضاً : ايغويلاز إي يانغواس L. Eguilaz y Yanguas، دراسة في رسومات قصر الحمراء، غرناطة، ١٨٩٦م.

٥٢ ـ نفذت هذه اللوحات في عام ١٥٥٤م حسب اللوحات الأولية التي رسمها الفلامندي فيرميين Vermeyen، الذي اشترك في الحملة على تونس، وقد كانت تلك اللوحات إبان زمن طويل ملكاً للعائلة الملكية الإسبانية. وهي اليوم موجودة في متحف الأسلحة (القصر الملكي) في مدريد، وفي قصر Séville.

٥٣ ـ انظر:

C. BERNIS, Indumentaria espanola en tiempos de Caros V , M adrid 1962, planche 63 (gravure anonyme) et note 63 p. 60.

٥٤ ـ انظر على وجه الخصوص« الاستيلاء على تونس» و «الهجوم على غوليت» (مدريد).

٥٥ ـ وقد نحت ل. ليوني L. Leoni تمثالاً من البرونز على هذا النمط لزوجة شارل كنت (متحف برادو، مدريد). انظر ش. بيرنيس،م.س.، اللوحة ٨١ والحاشية ٨١، ص٦٢.

٥٦ ـ انظر حول الدراعة التي كانت مستخدمة من قبل في الأندلس أيام الأمويين، ر. دوزي R. Dozy، معجم أسماء الملابس عند العرب (سيستخدم مختصراً: ملابس)، أمستردام١٨٤٥ م،ص١٧٧، وتكملة المعاجم العربية، ج١، ص ٤٢٤ ؛ وليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج٣، ص٤٢٤. وإن الشخصيات الجليلة التي تبدو في السقف المركزي في قاعة

المحكمة في قصر الحمراء ترتدي دراعات؛ تنقسم لدى أربعة منهم قسمين متساويين ولكن مختلفين. ويمكننا القول، إن هذه الرسوم تعود إلى القسم الثاني من القرن الرابع عشر، حسب الدراسات الحديثة. حول الدراعة في الغرب الإسلامي، انظر G. MarÇais، الزي الإسلامي في الجزائر العاصمة، باريس، ١٩٣٠،ص٧٠.

٥٧ . انظر مارسي، م.س.، ص٧٠ ـ ٧١.

٥٨ . حول السروال وجمعه سراويل التي أخذت منها الإسبانية كلمة zaragüelles منذ عام١٤٩٠م، والبرتغالية كلمة cereulas، انظر مقالة: سروال W. Bjorkman في موسوعة الإسلام، الطبعة الأولى، مج ٤، ص٤٧١ ـ ٤٧٣ ؛ وكتاب ل. برونو L. Brunot، أسماء ملابس الذكور في الرباط، باريس، ١٩٢٣ م، ج ١، ص٩٣، ر. دوزي، ملابس، ص١٥٥، مارسي، م.س.ص٦٧ وما يليها.

٥٩ . لمزيد من المعلومات حول البرنس، قارن بـ مارسي، م. س.، ص١٩، و بـ دوزي، ملابس، ص٨٠.

٦٠ . حول نوع من البرانس مشابه وجد في إفريقية الحفصية في القرن الرابع عشر، قارن بـ : R. Brunschvig برونشفيغ، بلاد البربر الشرقية إبان حكم الحفصيين، ج٢، ص٢٧٦ وما بعدها.

٦١. انظر رحيل أريي، مقالة مذكورة سابقاً، ص٢٥٣ واللوحة ٢. وحول النصريين الذين حكموا مملكة غرناطة الإسلامية من ١٢٣٨ م إلى١٤٩٢ م، انظر ليفي بروفنسال، مقالة عن النصريين

في الموسوعة الإسلامية، ط ١، مج ٣، ص٩٣٨ ـ ٩٤٢.

٦٢ ـ حول العمامة، انظر، دوزي، ملابس، ص٣٠٥ ـ ٣١١، ومارسي، م. س، ص ٨٠ وما بعدها. وقد كانت العمامة تعد خلال فترة طويلة في الأندلس الأموية غطاء الرأس المميز للبربر. وأشار المؤرخ ابن سعيد (القرن الثالث عشر الميلادي) إلى أن كل طبقات المجتمع الإسلامي في عصره تخلت عن العمامة في القسم الشرقي من إسبانيا، القسم المرتفع. وكان استعمال العمامة قليلاً في الأماكن الأخرى كلها في إسبانيا الإسلامية؛ لأنها أصبحت العلامة المميزة للقضاة والفقهاء. وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي أشاع استخدامها من جديد جنود الجيوش المغربية التي استعان بها بنو نصر في غرناطة ضد المسيحيين الإسبان، ويبدو أن العمامة ظلت مستخدمة حتى سقوط المملكة الإسلامية في غرناطة.

٦٣ـ انظر مارسي، م.س، ص٨٣.

٦٤ـ انظر حول الطيلسان، دوزي، ملابس، ص٢٧٨ ـ ٢٨٠ ؛ و يذكر مارسي، م.س، ص٨٧، أن هذا الخمار كان يتدلى في بعض الأحيان إلى الأرض في الأندلس الإسلامية.

٦٥ـ يظهر في اللوحات الجدارية للحملة على تونس أنواع متعددة من العَمّرات. انظر على وجه الخصوص «هجوم الإسبان على غوليت،وهجوم الأعداء المضاد».

٦٦ـ السويقية: حذاء نصفي بشريط أو بإزار. (المترجم).

٦٧. يلبس مثل هذه السويقيات الرماة المسلمون المرسومون في اللوحة الضخمة التي تمثل معركة Higueruela التي جرت عام ١٤٣١ م في صالة المعارك في دير الإسكوريال، انظر رحيل أريي، مقالة مذكورة سابقاً، اللوحة ٨.

٦٨. ألبس الفنان سيدات الذهب (الورقة ١٣ ب) زياً مماثلاً. ويبدو أن المسلمات في الأندلس، شأنهن شأن أخواتهن في المغرب، كن يؤثرن لبس الحلي. إن جرد الأموال التي صادرها المفوض الملكي من الموريسكيين إبان القرن السادس عشر يظهر أن تلك الأموال كانت في الغالب حلياً من الذهب أو الفضة. انظر حول هذا الموضوع ج. مارتينيز رويز

J. Martinez Ruiz , Siete cartas de dote y arras del Archivo de la Alhambra (1546-1608), dan Revista de Dialectologia y Tradicione populares t. XXII , 1966, Cuadernos 1o y 2o , p.47.

٦٩. لقد حولت اللغة الإسبانية هذا المصطلح إلى servillas , serbillas, xerbillas, xervillas في منتصف القرن السادس عشر. انظر دوزي، ملابس، ص٢٢٤. وانظر بيرنيس، م.س.، مدريد ١٩٢٦، ص ١٠٤. و مارتينيز رويز،

Una Zapateria morisca del zacatin en el ano 1564 dans patria, Grenade,16 janvier 1964 et Almohadas y calzados moriscos, pp.289-313.

وقد كان مارتينيز رويز لاحظ انتشار استخدام sherbil لدى النساء المغربيات، من قبائل الجبال. انظر: Vestido y adorno de la mujer musulmana de yebala (Marruecos), Madrid 1964, pp.56-57.

٧٠ ـ حول هذا المصطلح، انظر دوزي، ملابس، ص٣٢، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.

٧١ـ ترك لنا النبيل البلجيكي أنطوان دو لالينغ Antoine de Lalaing، سيد مونتيني Montigny، الذي كان يرافق فيليب لو بو Philippe le Beau إلى الأندلس في عام ١٥٠٢م، من بين رحالين آخرين، الشهادة الآتية: «أجد أن لباس النساء في غرناطة غريب كل الغرابة؛ لأنهن لا يلبسن إلا اللون الأبيض، الذي يشبه لون الأكفان، ويجرجرنه وراءهن على الأرض، وهن في الطرقات يغطين نصف وجوههن...» (رحلات ملك البلاد الواطئة «هولندا» في سلسلة التاريخ البلجيكي)، نشرها غاشار Gachard، بروكسل ١٨٧٦م، مج١، ص٢٠٨.

٧٢ ـ انظر مقالة حول سروال (مذكور أعلاه رقم ٢، ص١٧): جاء في الحديث النبوي الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى النساء بلبس السراويل، وحدد طوله.

٧٣ ـ حول الحايك أو الكساء، انظر مارسيي، م. س.، ص٢٤ وما يليها. و ر. برونشفيغ، م. س.، مج٢، ص ٢٧٦ وما يليها.

٧٤ ـ حول هذا اللباس، انظر مادة جلابة في موسوعة الإسلام، بقلم مارسيي، ط١، مج١، ص ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤، مارسيي، م. س.، ص ١٣، ول. برونو L.Brunot، م. س.، مج١،ص٩٣.

٧٥ ـ المقصود هي الصورة التي صنعها الصائغ الألماني كريستوف وايديتز Christophe Weiditz عند مروره بغرناطة عام ١٥٢٩ م، وهو من ندين له بـ :

Trachtenbuch des Christoph Weiditz von seinen Reisen nach Spanien

هذه المخطوطة المزينة.(1532-1531) und den Niederlanden (1529)

الموجودة في المتحف الوطني في مدينة نورمبيرغ Nuremberg

نشرها ث. هامب Th. Hampe (برلين-ليبزغ ١٩٢٧م).

٧٦ . انظر حول مصطلحات ,jupel , le sayon, la cape، بيرنيس، م.
س. فهرس مصطلحات jubon, sayo, capa.OOOO

٧٧. انظر رحيل أريي:

Acerca del traje musulman en Espan desde la caida de Granada hasta la expulsion de los Moriscos dans Revista del Instituto de Estudio Islamicos Madrida, vol. XIII, Madrid 1965-1966, p.113 et planche VI.

٧٨. انظر:

J. Münzer, Viaje por Espana y Portugal (1494-1495) trad. J. Lopez de Toro, Madrid 1951 ainsi que Viaje a Espana del magnfico senor Andrés Navagiero (1525-1526) trad.espagnole de J.M. Alonso Gamo, Valence1951, pp.73-74.

٧٩. انظر ما سبق، رقم ٢، ص ٢٠.

٨٠ انظر أريي، م. س. رقم ٥ ص١١١.

٨١ . انظر حول عودة ظهور الزي العربي خلال تمرد Alpujarras في عـــام ١٥٦٨م، أريي، م. س.، ص١١٥.

٨٢ . انظر أريي، الدراسات حول الموريسكيين في إسبانيا، في ضوء بعض الأعمال الحديثة في مجلة الدراسات الإسلامية، ١٩٦٧م، ص ٢٢٥ - ٢٢٩.

٨٣ . إن المخطوطات المزينة بالرســوم، التي وصلتنا من الغــرب

الإســـلامي نـادرة.انـظـر: ل. توريس بـالبـــيس L.Torres Balbas، المنمنمات الإسبانية القروسطية de influjo الإسلامية في مجلة الأندلس،العـــدد ١٥ (١٩٥٠ م)، ص ١٩١ ـ ٢٠٢. لقـــد أثار اكتشاف لوفي ديلا فيدا G. Levi della vida في مكتبة الفاتيكان، عام ١٩١٤م المخطوطة المزدانة لكتاب قصة بياض ورياض ضجة كبيرة. ونعتقد أننا قادرون على تأريخه من القرن الثالث عشر الميلادي؛ لأن الأشكال الخطية، وتفاصيل العمارة تسمح بنسبتها إلى فنان مسلم ولد في إفريقية الشمالية أو في إسبانيا. وأن المخطوطة الوحيدة المكتشفة حتى يوم الناس هذا من الغرب الإسلامي، والتي تفصح عن أصلها هي: مقالة عن النجوم الثابتة للصوفي، أُنجزت في Ceutaعام ١٢٢٤ م. انظر ايتينغوسين، م. س.، ص١٢٥.

اللوحات والتعليقات

١ ـ ٤٧



اللوحة رقم (١) الورقة (٤ ب) من المخطوطة ص ٢٥:

ـ فرعون يتجاذب أطراف الحديث مع جلسائه

بعد المعجزات، التي أتى بها موسى في عاصمة مصر ، جمع فرعون وزراءه وجلساءه، الذين كان بينهم الرجل الذي آمن بموسى ، وهو قريب فرعون . وقررت حاشية الملك أن موسى سيُنْفى ، ولكن فرعون كان يرى أن يقتل.



اللوحة رقم (٢) الورقة (٥ ب) ص ٢٦ :

– حوار (مقابلة) بين فرعون والرجل المؤمن

فرعون وهو محاط بجلسائه، يتحاور مع الرجل المؤمن الذي لم يستطع إخفاء معتقداته أمام إصرار فرعون على معاقبة موسى .



اللوحة رقم (٣) الورقة (٧أ) ص ٢٧ :

- الخليفة والرجل العاقل

طلب الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي كان مهدداً بتمرد عمه يزيد من خدمه أن يأتوه برجل من العامة، عاقل، يحسن النصيحة. ونراه هنا يتحاور مع الرجل الفقير، الذي تبدو على وجهه علامات الهلع .



اللوحة رقم (٤) الورقة (٨ أ) ص ٢٩ :

– عمرو بن سعيد يعظ الناس

حكى الرجل العاقل للخليفة الوليد، قصة عمرو بن سعيد، الذي تمرد على الخليفة عبد الملك بن مروان، وصار يحض الناس على خلعه، وفي اللوحة نرى العامة جالسين على حصير، وكلهم آذان صاغية للمتمرد الذي يعلو المنبر .



اللوحة رقم (٥) الورقة (٩ أ) ص ٣١ :

- الخليفة عبد الملك يتحدث إلى رجل عجوز

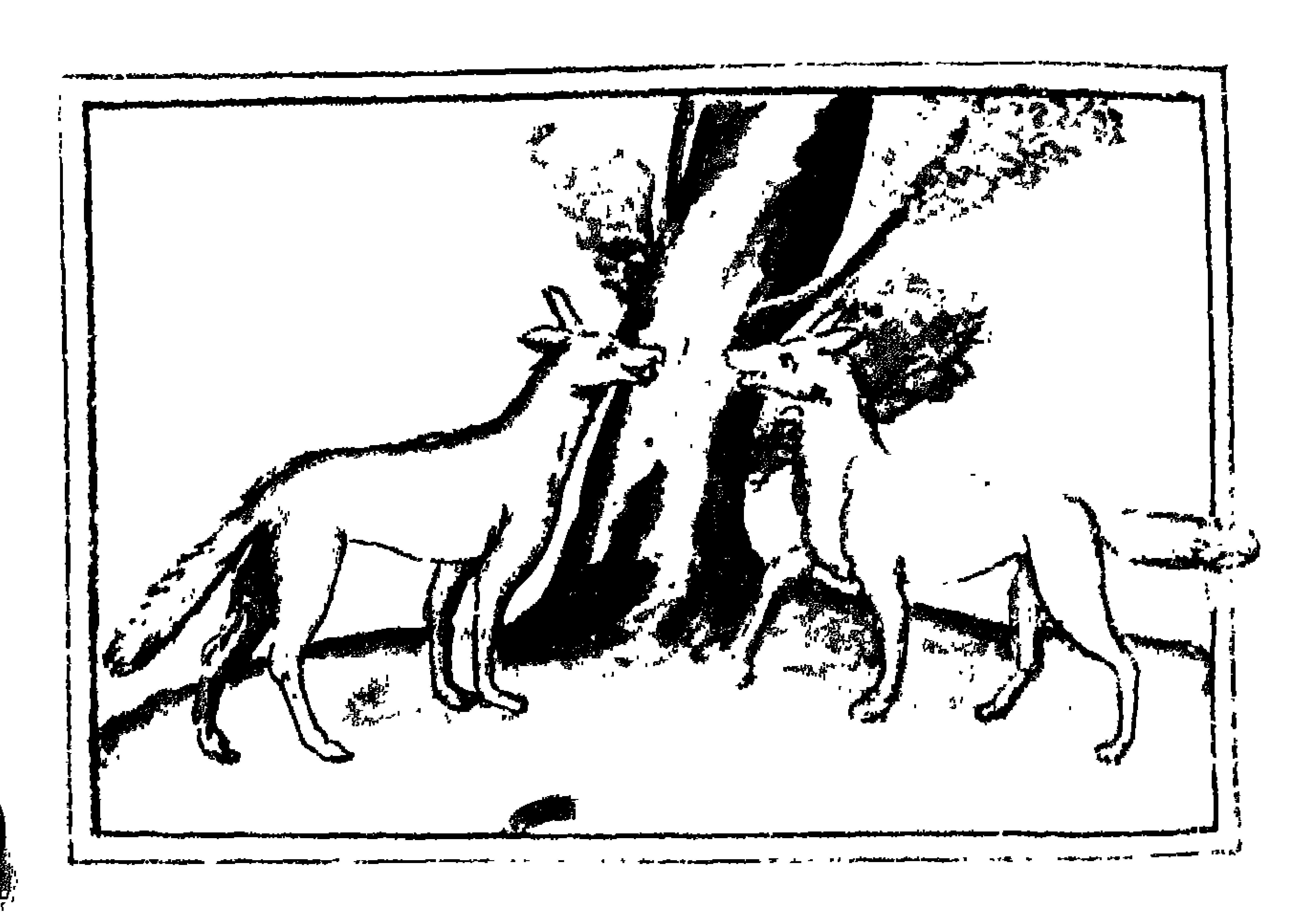
قابل الخليفة عبد الملك رجلاً عجوزاً يلبس أسمالاً بالية ، يجمع نبات السماق، ونصح الرجل لعبد الملك أن يقضي على ثورة عمرو بن سعيد، التي لا تتفق مع القانون .



اللوحة رقم (٦) الورقة (١١ أ) ص ٣٢ : (مشهد حيواني)

– الثعلب والثعبان

غادر أحد الثعالب المسمى : ظالم جحره بحثاً عن رزق يومه ، ولما عاد وجد ثعباناً أمام جحره ، وانتظر عبثاً انصراف الدخيل .



اللوحة رقم (٧) الورقة (١٢ أ) ص ٣٣ : (مشهد حيواني)

– الثعلبان

ولما يئس ظالم من إزاحة الثعبان عن باب جحره ، انصرف يبحث عن جحر آخر ، وقابل ثعلباً اسمه : مفوض .



اللوحة رقم (٨) الورقة (١٣ ب) ص ٣٤ ؛ (مشهد حيواني)

- مفوض يعود إلى جحره وهو يحمل جذوة من نار

قرر الثعلب الطيب مفوض أن يجمع الحطب لحرق الثعبان، أو إجباره على الخروج بتوجيه الدخان عليه في جحر الثعلب ظالم . ولما لم ير الثعلب المكار ظالماً ، عاد إلى جحره (نراه في اللوحة) يعود إلى مكان إقامته ، وهو يحمل جذوة نار متوقدة .



اللوحة رقم (٩) الورقة (١٥ أ) ص ٣٥ :

– المأمون يقرأ رسالة على وزرائه

المأمون الذي كان أخوه الأمين يهدد وصوله إلى العرش ، يقرأ رسالة من الخليفة إلى وزرائه ويطلب نصيحتهم .



اللوحة رقم (١٠) الورقة (١٦ أ) ص ٣٦ :

– علي بن عيسى يتحادث مع الأمير

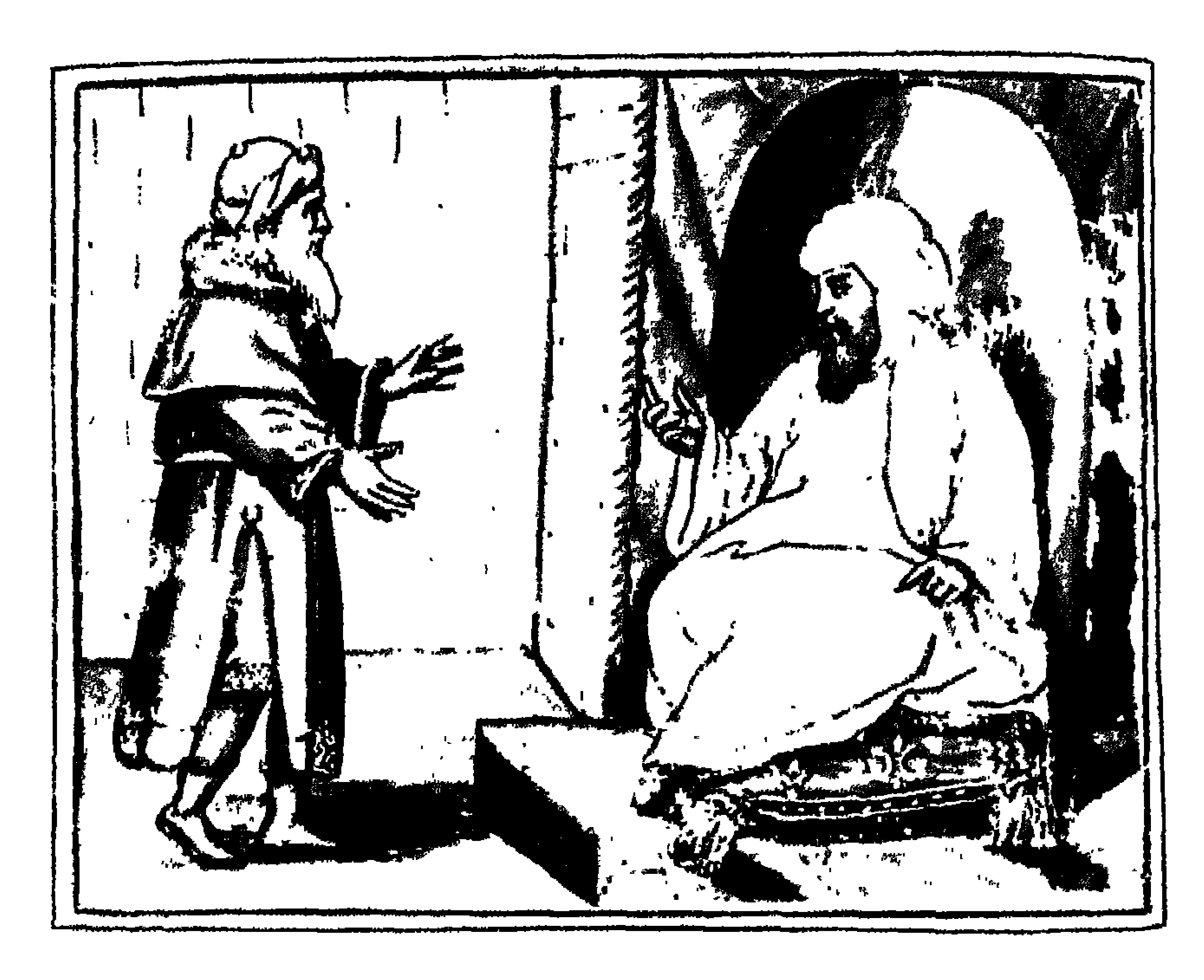
أوكل الأمين تربية ولده موسى إلى علي بن عيسى، الذي كان فيما مضى حاكماً لخراسان ؛ ويبدو في اللوحة علي بن عيسى يصف للخليفة الأحوال في تلك المنطقة .



اللوحة رقم (١١) الورقة (١٨ أ) ص ٣٧ :

- المأمون والعجوز الفارسي

عجوز من أصل فارسي، بلغ من الكبر عتياً، ويدين بالمجوسية، يمثل أمام المأمون؛ ونراه في اللوحة يطلب من الأمير أن يكشف عنه ما نزل به من ضيم .



اللوحة رقم (١٢) الورقة (١٧ أ) ص ٣٨ :

- المأمون يطلب النصيحة من العجوز الفارسي

المأمون الذي هدده الأمين بنزع حكم خراسان منه، جمع وزراءه وطلب من العجوز الفارسي أن يدلي برأيه.



اللوحة رقم (١٣) الورقة (١٩ أ) ص ٣٩ :

– فيروز يُقسِم على صخرة، أنه لن يهاجم الخشنواز

الخشنواز ، ملك الـ Heftalites، يطلق سراح أسيره ملك الفرس فيروز ، ويعقد معه اتفاقاً ينص على أن فيروز لن يحاربه أبداً . ويجري أداء القسم عند صخرة تحدد حدود أرض الـ Heftalites، التي لا ينبغي على فيروز أن يتجاوزها.



اللوحة رقم (١٤) الورقة (٢٠ ب) ص ٤١ :

– جيش فيروز في إحدى حملاته

ولما عاد فيروز إلى مملكته، والخجل يكاد يقضي عليه، قرر أن يشعل الحرب ثانيـة ، ولكي لا يحنث بقسمه، حمل الصخرة على ظهر فيل كان يسير في مقدمة جيشه .



اللوحة رقم (١٥) الورقة (١٢٢ أ) ص ٤٢ :

- رجل فقير ينتقم لمقتل أخيه

طلب العدالة أحد الفقراء، الذين قتل أخاه أحد فرسان فيروز الأغنياء، ورضي فيروز بأن تجري بين الفقير والفارس معركة غير متكافئة ، ولكن الرجل الفقير استطاع أن يسْقِط الفارس من على جواده، وأن يجرحه بيطقانه في عنقه .



اللوحة رقم (١٦) الورقة (٢٥ ب) ص ٤٤ :

- سابور ووزيره يذهبان إلى الأرض المسيحية

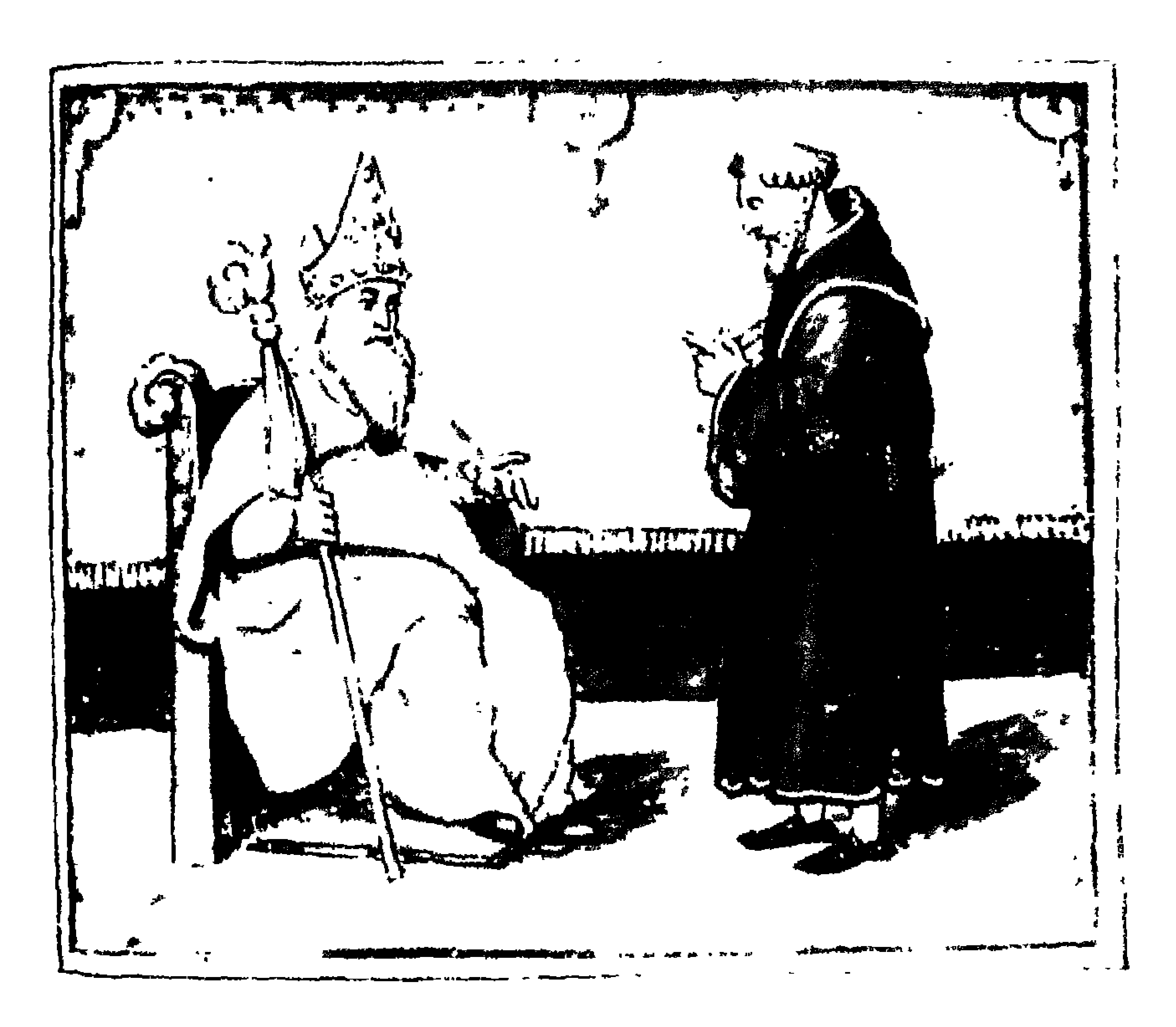
عندما قرر ملك الفرس سابور، أن يدخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية متنكراً، حاول أحد مستشاريه المخلصين أن يثنيه عن ذلك، ويبين له أخطار ما ينوي القيام به، ولكنه مع ذلك رافقه (كما يبدو في اللوحة).



اللوحة رقم (١٧) الورقة (٢٧ ب) ص ٤٥:

- المسيحيون يخبرون الإمبراطور
بوجود سابور في البلاط

اكتشفت بطانة الإمبراطور أمر سابور خلال مأدبة، وسارعوا لإخبار سيدهم بذلك.



اللوحة رقم (١٨) الورقة (٢٩ ب) ص ٤٦ :

– وزير سابور ورئيس الأساقفة

استطاع وزير سابور المتنكر بزي خوري، أن يحوز ثقةَ البطريرك (البطريق) الذي أوصى به لدى رئيس الأساقفة المكلف حراسة ملك الفرس. وكان وزير سابور يحكي لرئيس الأساقفة في كل مساء حكايات طويلة.



اللوحة رقم (١٩) الورقة (٣٠ ب) ص ٤٧ :

– سابور وسجّانه

يبدو في اللوحة سابور مقيداً ، ومحبوساً في عتاد حربي ضخم، له شكل عجل، ويبدو أحد السجّانة يزوره وهو يحمل إليه طعامه .



اللوحة رقم (٢٠) الورقة (٣١ ب) ص ٤٨ :

- عين أهله وسيدة الذهب

عين أهله، شاب ذو مظهر معْجب، عرف سيدة، أخبره الناس بجمالها، وتسمى سيدة الذهب .



اللوحة رقم (٢١) الورقة (٣٤أ) ص ٥٠:

– وزير سابور، يحكي قصة لرئيس الأساقفة

يشكو وزير سابور من وجع رأسه، ويطلب من رئيس الأساقفة أن يسمح له بقطع حكايته .



اللوحة رقم (٢٢) الورقة (١٣٥ أ) ص ٥٢ :

– حديث بين عين أهله والمرأة العجوز

يبدو في اللوحة عين أهله، وهو يتحدث مع امرأة عجوز، قطعت إحدى يديها، والتي كلفها الذيب زوج سيدة الذهب حمايةَ زوجته.



اللوحة رقم (٢٣) الورقة (٢٦ ب) ص ٥٣:

– التاجر والصياد والظبي

أهدى أحد التجار إلى ولده الوحيد غزالة وظبياً، هربا في أحد الأيام، وتبعهما الولد في الصحراء، ووجد صياداً على وشك أن يذبح الظبي، وعرف أن هذا الظبي هو ظبيه الهارب.



اللوحة رقم (٢٤) الورقة (٤٠ ب) ص ٥٤ :

– سابور وجيشه أمام معسكر الإمبراطور

ولما أفلح وزير سابور في إطلاق سراحه ، جمع جيشه ، واستعد على رأس أشجع فرسانه لمهاجمة معسكر إمبراطور بيزنطة .



اللوحة رقم (٢٥) الورقة (١٤٢ أ) ص ٥٥ :

– زعماء قريش وإبليس

اجتمع زعماء قريش ليتدارسوا الطريقة التي يتخلصون بها من رسول الله ؛
وكان إبليس حاضراً معهم، متخذاً صورة بدوي عجوز،
له قرنان (كما يبدو في اللوحـة).



اللوحة رقم (٢٦) الورقة (٤٥ أ) ص ٥٦ :

- الخليفة الهادي والمتمرد

مَثَّلَ أحد السجناء الخوارج أمام الهادي ، واستطاع السجين الاستيلاء على سيف أحد الحراس ورمى بنفسه على الخليفة ، ولما وجد الخليفة نفسه وقد تخلى عنه خدمه وبطانته ، استخدم الحيلة للقضاء على خصمه ، وإيقاعه أرضاً وقتله .



اللوحة رقم (٢٧) الورقة (٤٦ ب) ص ٥٧ :

– الجاسوس وخادم المبعوث الفارسي

كان كسرى أنوشروان، ملك الفرس، ينوي الاستيلاء على مملكة الهند؛ فأرسل أحد أذكى مستشاريه في بعثة ليطلب من الأمير الهندي يمين الولاء، واستقبل مبعوث كسرى بما يليق بمنزلته من احترام، ولكن أحد الجواسيس، كان يراقبه. وقد تعرف هذا الجاسوس أحدَ خدم المبعوث الساساني.



اللوحة رقم (٢٨) الورقة (١٤٨ أ) ص ٥٨ :

- الجاسوس الهندي وسيده

ولما نجح جاسوس الأمير الهندي في دخول بيت مبعوث خسرو الذي خدعه، ولما عاد إلى البلاط قدم تقريراً إلى سيده .



اللوحة رقم (٢٩) الورقة (٤٩ أ) ص ٥٩ :

- كسرى يصدر أوامره إلى رجاله

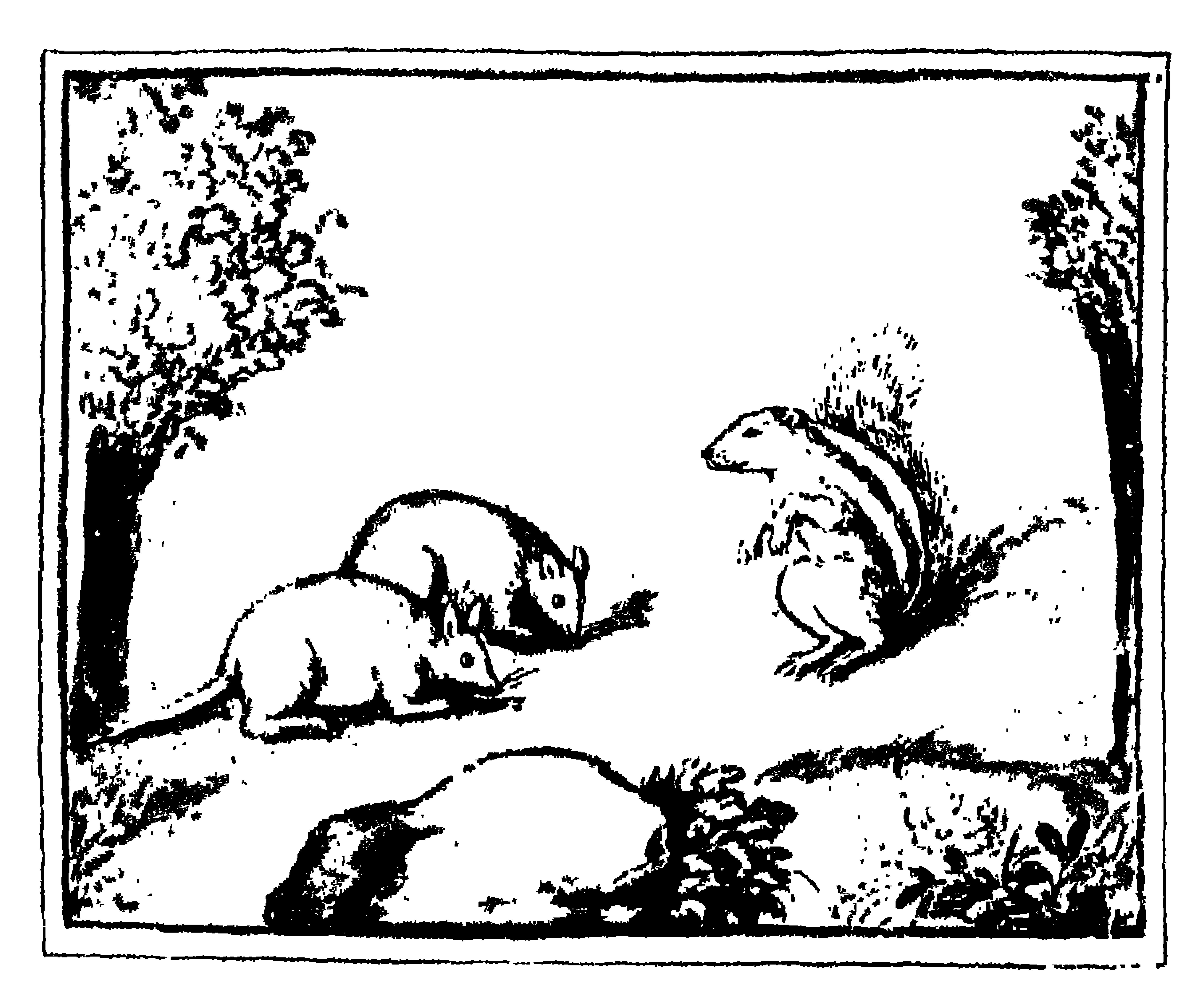
ولما عاد مبعوث كسرى، قرر هذا الأخير أن يرسل إلى مملكة الهند رجالاً نشيطين ، قادرين على تهيئة الظروف للإطاحة بالأسرة المالكة.



اللوحة رقم (٣٠) الورقة (٥١ أ) ص ٦٠ :

– الأمير الهندي ووزراؤه

جمع الأمير الهندي وزراءه ومستشاريه: وطلب رأيهم.



اللوحة رقم (٣١) الورقة (١٥٣ أ) ص ٦١ : (مشهد حيواني)

- اليربوع والجرذان

أحد الوزراء من ذوي البصيرة النافذة، حكى للأمير حكاية الجرذ واليربوع.



اللوحة رقم (٣٢) الورقة (٥٥ أ) ص ٦٢ :

- الأمير الهندي يصدر الأوامر، لمواجهة كسرى

وعلى طريقة الجرذ الذي التجأ إلى مكان عالٍ، قرر الأمير الهندي التحصن على قمة هضبة في قلعة أقامها أجداده. وكلف تابعيه القيام بالتحصينات الدفاعية.



اللوحة رقم (٣٣) الورقة (٥٧ أ) ص ٦٣ :

- المرزبان ومبعوث كسرى

المرزبان الذي يحكم ثغراً فارسياً قريباً من الإمبراطورية الهندية، يلتقي مبعوث كسرى الذي يحمل إليه رسائل من سيده.



اللوحة رقم (٣٤) الورقة (٥٩ أ) ص ٦٤ :

- الأمير الهندي ومواطنوه المتمردون

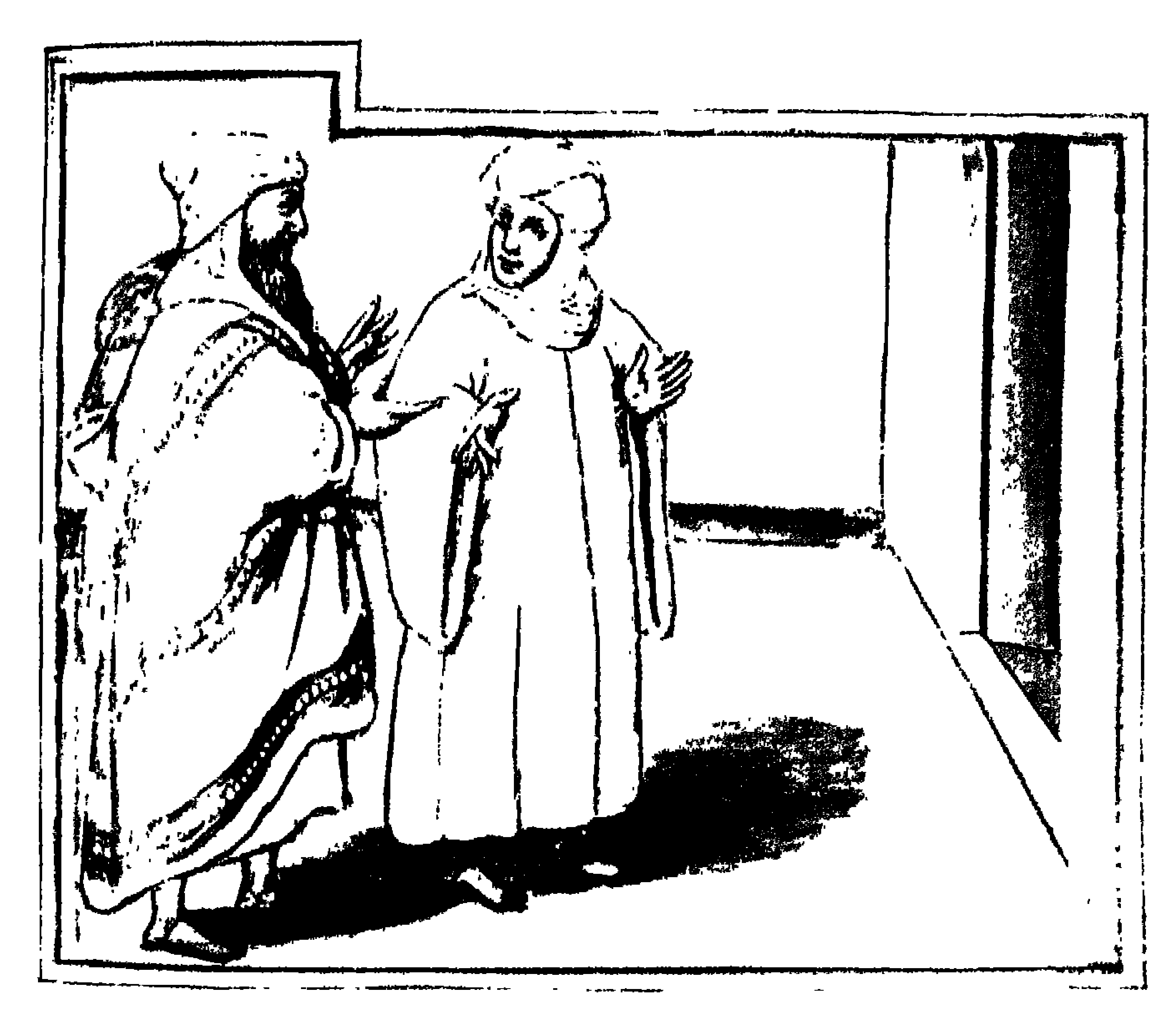
المتمردون الهنود، يطلبون العفو من ملكهم الشرعي، ويطلبون قائداً عسكرياً ينضوون تحت لوائه.



اللوحة رقم (٣٥) الورقة (٦٠ أ) ص ٦٥ :

- بهرام والفيلسوف

بهرام، ملك الفرس، يسأل أحد الفلاسفة عن صفات الحكومة الصالحة. ويبدو في اللوحة الحكيم وهو يجيبه.



اللوحة رقم (٣٦) الورقة (٦٣ ب) ص ٦٦ :

- حِلْس وبهرام

لما قرر يزدجر ملك الفرس أن يسند تربية ولده بهرام إلى النعمان ملك عرب الحيرة، عمد هذا الأخير إلى أحد الحكماء العرب اسمه حلس، نراه في اللوحة يتحدث مع بهرام



اللوحة رقم (٣٧) الورقة (٦٤ ب) ص ٦٧ :

- الناسك واللص

كان أحد النساك يعيش بعيداً عن المدينة؛ وكان المؤمنون يعطونه مبالغ ضخمة ليوسع بها على الفقراء. وفي إحدى الليالي، تسلق أحد اللصوص جدار بيت الناسك فوجد الناسك يصلي في المصلّى .



اللوحة رقم (٣٨) الورقة (٦٦ ب) ص ٦٨ :

- الطحّان وزوجته

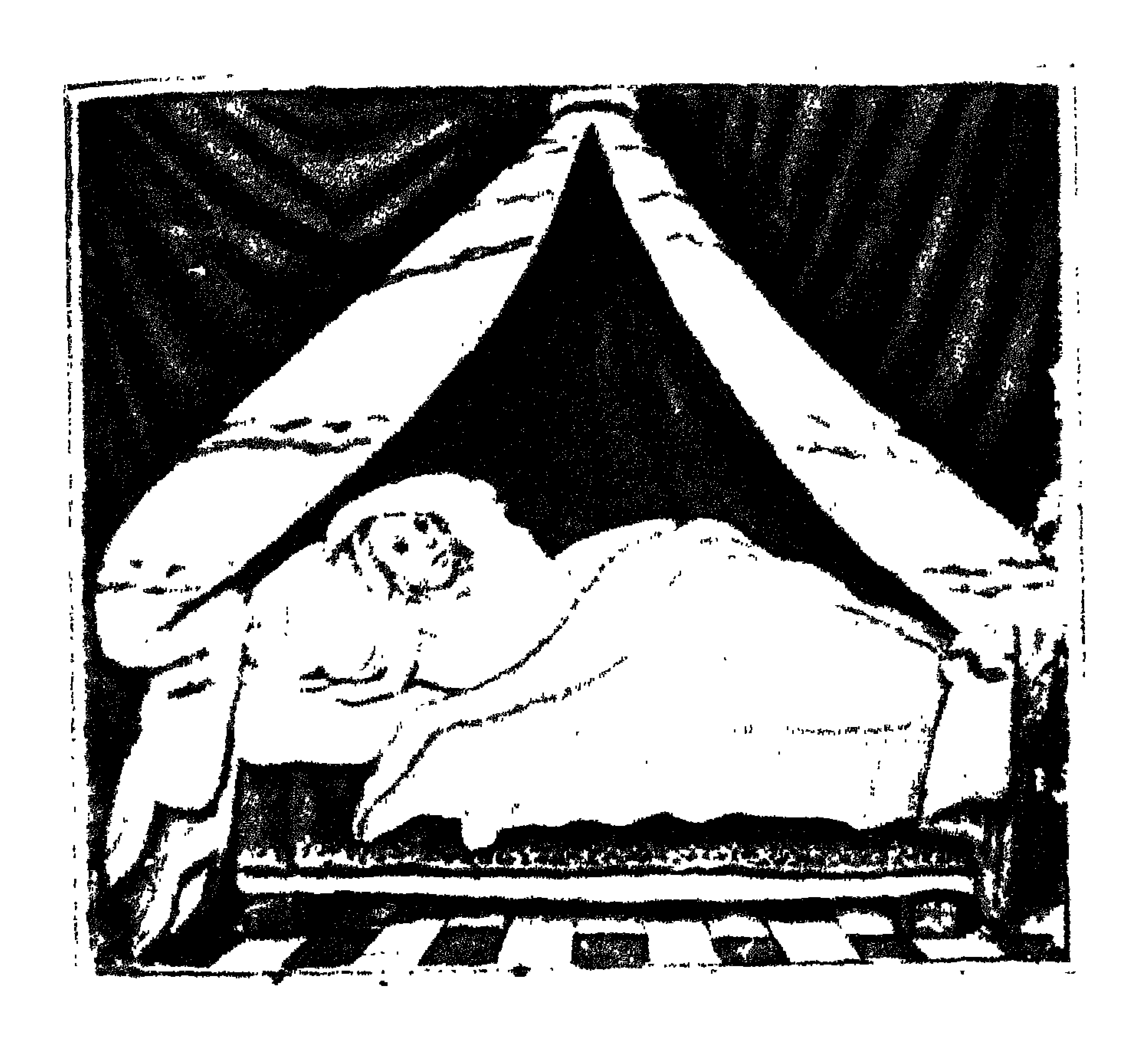
رأى الطحان في الحلم، أن كنزاً مطموراً بالقرب من رحى طاحونته. فأخبر زوجته بما رأى في منامه، وأوصاها ألاّ تخبر أحداً بذلك.



اللوحة رقم (٣٩) الورقة (٦٨أ) ص ٧٠ : (مشهد حيواني)

- الدب والقرد الطبيب

اقترب أحد القرود من الدب، الذي كان يتظاهر بالموت، فقبض عليه الدب وأجبره على أن يجمع له الثمار، واحتج القرد بأن نظره ضعيف، وطلب من الدب أن يقوده عند قرد آخر مشهور بمهاراته الطبية . فنصح القردُ الطبيبُ الدبَّ بأن يجعل خادمه يخرج ليلاً . رضي الدب بذلك ولكنه، تنبه إلى الحيلة، وأصبح يراقب القرد، وقتله في أثناء محاولته الهرب.



اللوحة رقم (٤٠) الورقة (٦٩ ب) ص ٧١ :

- الأميرة المريضة

ابنة ملك الهيلينيين مصابة بمرض الكآبة. أُهديت عصفوراً، متعددَ ألوان الريش، سحرها وبرئت من مرضها فوراً. ولكن العصفور ساءت حاله في سجنه، ولم يعد يغني فمرضت الأميرة من جديد. قام أحد الأطباء بمد خيط طويل للعصفور فوق الحديقة، فوجد العصفور حريته من جديد، وعاد إلى الغناء، واستعادت الأميرة صحتها .



اللوحة رقم (٤١) الورقة (٧١ ب) ص ٧٣ :

- الخادم والساحرة

كان بهلوان الملك الفارسي يزدجر رجلاً طائشاً، ولما سافر عَبْر السند، اتخذ امرأة جميلة، ظهر بعد ذلك، أنها ساحرة حولت الكافر إلى عبد أسود. وعشق مباشرة جارية سوداء، كانت تشكو لسيدتها الساحرة شهوة زوجها المستعرة.



اللوحة رقم (٤٢) الورقة (٧٣ ب) ص ٧٤ :

- يزدجر والحصان المتوحش

أصبح يزدجر ملك الفرس أحمق في نظر مواطنيه بسبب قسوته، وأخبره حاجبه أن حصاناً متوحشاً يُشيع الرعب بين أفراد الشعب. وقد أعجب يزدجر بهذا الحيوان الرائع، وبمظهره الهادئ، فامتطاه، فأطلق الحصان ساقيه للريح، وسارع باتجاه البحر.



اللوحة رقم (٤٣) الورقة (٧٥ ب) ص ٧٥ :

- النبلاء الفرس في حضرة بهرام

نشأ بهرام بن يزدجر ملك الفرس، في بلاط النعمان ملك العرب في الحيرة، ولما مات والده، اختار الفرس ملكاً آخر. وحاول بهرام بمساعدة مستضيفه النعمان استعادة مملكة أجداده، وذهب النبلاء الفرس إلى بهرام، الذي استقبلهم، وهو جالس على عرش في المعسكر العربي.



اللوحة رقم (٤٤) الورقة (٧٩ ب) ص ٧٧ (صورة الغلاف):

- النديمتان

تنحى الخليفة معاوية، بعد أن سمع حديثاً بين نديمتين من ندماه، يدور حول مخاطر الملك.



اللوحة رقم (٤٥) الورقة (٨١ ب) ص ٧٩ :

- الملك والجارية

أحد ملوك الهيلينيين يقرأ رسالة سلمتها له واحدة من جواريه حول، سخف الأشياء في هذا العالم، ويقرر التخلي عن الحكم.



اللوحة رقم (٤٦) الورقة (١٨٦ أ) ص ٨١ :

- الفيلان

كان أحد الملوك يمتلك فيلين، أحدهما مروض، والثاني متوحش. وقد رضي هذا الأخير بناء على نصيحة الفيل الآخر أن يُسْرج. ولكنه سرعان ما اكتشف مساوي العبودية. وتصنَّع الفيلان المرض، فقادهما عبدان إلى السهل، وتركاهما حُرَّيْن، عندئذٍ هربا.



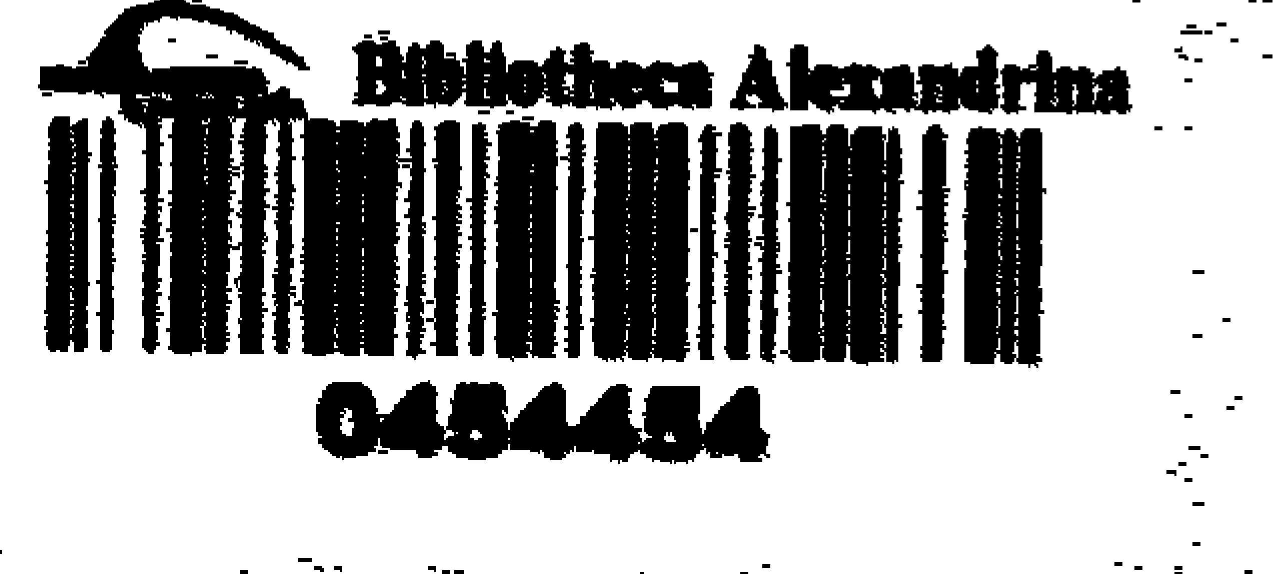
اللوحة رقم (٤٧) الورقة (١٨٨ أ) ص ٨٣ :

– الخوري أمام الدير

أحد النساك يشرح لراعٍ يعيش حياة قاسية، ويحب خدمة الآخرين، أنه ينبغي أن يفكر الإنسان بنفسه أولاً، ويحكي له قصة الخوري، الذي رمم ديراً، ولم يستطع التمتع بثمار عمله، ووجد نفسه يعيش في فقر وعوز .



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية


Bibliotheca Alexandrina
0454454